

القسم الثاني

فنون الشرق الأوسط القديم

في عصر الأسرات

الباب الأول

مصر

تمهيد :

آمن قدماء المصريين في عهد الأسرات بأن ملوكهم من نسل الآلهة التي حكمت البلاد في العصور البدائية . وكانت الحكومة ذات طابع ديني على رأسها ملك مؤله يمثل الإله الأعظم للقطر . وكان لكل مدينة إله خاص بها ، في أول الأمر قبل توحيد البلاد ، وقد آمنوا بقوة هذه الآلهة وتأثيرها في حياتهم . وكانوا يرمزون لها برموز ، أو ينحتون لها التماثيل ، كذلك شيّدوا المعابد خصيصاً لوضعها فيها ، وقد تفنّن الملوك في العصور المتلاحقة في طرق تشييد هذه المعابد ، إرضاء للآلهة ، كما تباروا في إظهارها بمظهر الفخامة ، خصوصاً في الدولة الحديثة . واستعملوا الأحجار في تشييد هذه المعابد التي كانوا يقيمونها على حافة الصحراء بعيدة عن مياه الفيضان ، بعكس مبانيهم الدنيوية التي كانت تقام من اللبن وسط المزارع ، فزالت لعدم صلابه المادة التي بنيت منها ، وإلى جانب معابد الآلهة شيّد المصريون معابد جنائزية للملوك . وذلك لتأدية الطقوس الجنائزية في الأعياد بعد موت الملك .

وقد كان للمعتقدات الدينية أثر كبير في حياة قدماء المصريين . ولعل أهمها اعتقاد المصري في حياة ثانية بعد الموت الذي لم يعتبره نهاية الحياة ، بل عده فترة قصيرة ينتقل بعدها الفرد إلى حياة أبدية على غرار الحياة الدنيا . وكان يعتقد أن الإنسان مركب من الجسم المادى والروح المادية « كا » وتعرف بالقرين ، وهي تعود إلى الجسد بعد الوفاة . كما اعتقد بوجود روح أخرى « با » تصعد إلى السماء وهي تمثل عادة على هيئة طائر . وإيمانه بحياة ثانية .

كان لزاماً عليه أن يحافظ على جسده بعد الموت من التلف حتى تتعرف عليه القرين . فحفظ الجسد واعتنى ببناء المقابر أكثر من اعتنائه بتشييد مساكنه الدنيوية ، ولمساعدة القرين على التعرف على الجثة إذا ما أصابها التلف ، كان يضع بالمقبرة رأساً من الحجر الجيري تحاكي شبه المتوفى توضع بعد حجرة الدفن . ويؤكد هذه الحيلة بصنع تماثيل له يصور ملامحه بدقة ليحل محل الجثة إذا ما أصابها التلف . وكانت هذه المقابر تهيأ ليحيا فيها حياة تماثل حياته الدنيوية . لذلك وجب أن تكون صورة مماثلة لما كانت عليه حياته العادية . فزودها بما يلزمه من أثاث . ولم تتعد في أول الأمر بعض أوان بها طعامه وشرابه وأسلحته وحليه ومواد زينته . ولكن بتطور الزمن وضع فيها أرائك ومقاعد ... إلخ ، وتماثيل لمن يخدمون في قصره . كما زينت الجدران بمناظر وصور تمثل حياته اليومية . وقد صورت في بعض الأحيان الكثير من الحوادث والأخبار . نستنتج مما سبق أن المعتقدات الدينية كان لها أثر كبير على الفن المصرى الذى يعتبر أن أساس نشأته الناحية الدينية ، وقد ساعد التمسك بهذه المعتقدات الدينية في جميع عصور الأسرات على ازدهاره ووصوله إلى القمة . وحيث إنه — كما سبق أن عرفنا — لم يعثر على مبان دنيوية تذكر ، لذلك سنعتمد في دراستنا للفن المصرى القديم على ما بقى لدينا من مقابر ومعابد دينية وجنازيرية ، وما كانت تحتويه هذه المشيدات من أعمال فنية في العهود المختلفة لحكم الأسرات .

وتعتمد معلوماتنا عن العصور التاريخية على بعض القوائم الحجرية^(١) التى عثر عليها في بعض القبور الملكية ومدون بها أسماء الملوك ، كما عثر على بردية محفوظة الآن بمتحف « تورين » ومدون عليها أسماء الملوك والحوادث . وبجانب بعض المصادر المصرية^(٢) توجد مصادر أخرى أجنبية، وهى ما كتبه الكتاب اليونانيون الذين زاروا مصر منذ القرن السادس مثال « هيكانة » « الملبى » و « هيرودوت » « الإغريق » الذى زار مصر عام ٤٣٠ ق . م . يضاف

(١) حجر بالرمو وهو حجر من الديوريت محفوظ الآن بمتحف بالرمو .

(٢) قائمة الكرنك وقائمة أبيدوس وقائمة سقارة .

إلى ذلك ما كتبه الكاهن المصرى « مانيتو Manetto »^(١) عن تاريخ مصر الذى قسم فيه الأسرات إلى ثلاثين أسرة تكونت منها العصور المختلفة التى حكمت مصر وهى :

العصر الطينى - الدولة القديمة - عهد الاضمحلال الأول - الدولة الوسطى - عهد الاضمحلال الثانى - الدولة الحديثة - العصور المتأخرة .
وتتركز قصة الفن المصرى وتطوره فى أربع مراحل . المرحلة الأولى فى الدولة القديمة - والمرحلة الثانية فى الدولة الوسطى والمرحلة الثالثة فى الدولة الحديثة . وتتمثل المرحلة الأخيرة فى العهد الصاوى .

(١) كلف الملك بطليموس الثانى الراهب « مانيتو » فى حوالى عام ٢٨٠ ق . م بكتابة التاريخ المصرى وقد استعان فى ذلك بالسجلات التى وجدت فى المعابد وبذلك حصلنا على قائمة بأسماء الملوك .

الفصل الأول

العصر الطيني أو الثيني Thinite

ويشمل حكم الأسرتين الأولى والثانية

٣١٠٠ ق . م - ٢٦٥٠ ق . م (١) تقريباً

تمهيد تاريخي :

استمر حكم ذلك العهد حوالي أربعة قرون . ولقد عثر على مقابر ملوك الأسرة الأولى في « أبيدوس » و « سقارة » كما عثر على قبرين للملكين من ملوك الأسرة الثانية في « أبيدوس » . ولقد ثار جدل حول المركز الحقيقي لجبانة ملوك الأسرة الأولى في ذلك العصر . مما دعا الأثريين للاعتقاد بأن جبانة الأسرة الأولى كانت بسقارة . وأن مدافن « أبيدوس » ما هي إلا مقابر رمزية . وذلك لوجود « نيس » موطنهم الأصلي بالقرب من أبيدوس .

أعقب الملك « نعرمر » على عرش مصر الموحد عدة ملوك ، قام بعضهم بحملات تآديبية ضد الآسيويين والليبيين وأهل النوبة ، إلى أن انهارت الأسرة الأولى نتيجة للتنازع على الحكم بين أطراف الأسرة الطامعين في الحكم مما أدى إلى قيام أسرة جديدة هي الأسرة الثانية . تتخلل حكم الأسرة الثانية حروب مع النوبيين كما ثار عليهم أيضاً الجزء الشمالى من المملكة المصرية . ومن أهم ملوك هذه الفترة الملك « خع سمخوى » .

أظهر المصريون مقدرتهم الفنية منذ عهود ما قبل الأسرات ، وتمثل لوحة

(١) هناك بعض الخلاف في تاريخ ابتداء حكم الأسرة الأولى . بدأه بعض المؤرخين بعام ٣١٨٨ ق . م . والبعض الآخر بعام ٣١٩٧ ق . م . ويرجمها الأستاذ شارف « A. Sharf » « بعد مقارنات علمية مع آثار بلاد النهرين المشابهة إلى ٢٨٥٠ ق . م . وهذه التقديرات قد تكون بعيدة عن الحقيقة . وأميل إلى الأخذ برأى الدارسين اللذين يرجعونه إلى ٣١٠٠ ق . م .

الملك « نعمر » الفترة الواقعة بين نهاية عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرة الأولى ، وتشير الآثار التي عثر عليها في مقبرة الملك « زت » ثانياً ملوك الأسرة الأولى على تقدم الفن المطرد في عهد الأسرة الأولى .

العمارة :

لم يعثر من ذلك العهد على آثار معمارية تساعد في دراسة فن المعمار غير القبور الملكية ومقابر الأفراد ، وبدراستها يتضح التطور الكبير الذي طرأ على تشييد المقابر في مصر في العهود الأولى .

وكانت القبور في العهود البدائية تقتصر على حفر صغيرة تغطي بكوم من الأحجار والرمال بعد دفن المتوفى . وأخذت الحفرة الشكل البيضاوي ثم شكل المستطيل في عهد « جرزة » ، وفي بعض الحالات بطنت جدران المقبرة بطبقة من اللبن . وفي أواخر عهد ما قبل الأسرات أضيفت إلى هذه الأبنية حجارة أخرى ، بغرض وضع ممتلكات المتوفى في المقبرة ، وغطيت هذه المجموعة بقطع من الحجارة والرمال ثم كسيت جدرانها الأربعة المائلة بالطوب ، وسمى هذا الشكل المستطيل فوق سطح الأرض بالمصطبة .

أصاب القبور حظ من التطور في أوائل العصور التاريخية . فكبر حجم المصطبة منذ عهد الأسرة الأولى ، كما انتشر استعمال اللبن في الجدران ، أما الأبواب والعمد والسقف فكانت تصنع من الخشب . واستخدم الحجر في بعض مقابر الأسرة الأولى في حدود ضيقة حيث وجد في أرضية مقبرة الملك « وديمو UDIMO » . « بأيدوس » أحجار الجرانيت . كما عثر في « أبيدوس » أيضاً على مقبرة الملك « خع سخموى » من نهاية الأسرة الثانية جدرانها غطيت بالحجر الجيري . وكذلك كشف حديثاً عن جبانة شعبية في حلوان^(١) بها مقابر حجرية ترجع إلى الأسرتين الأولى والثانية .

(١) اكتشف الأستاذ زكى يوسف سعد هذه الحفائر في حلوان وعثر على جبانة شعبية بها آلاف

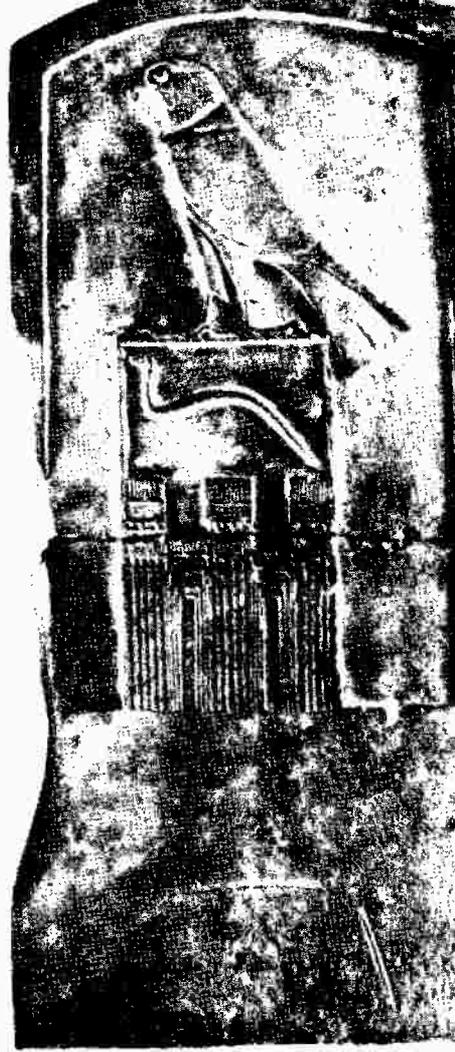
النحت والنقوش البارزة :

بدأ الفنان المصرى يمارس فن النقش البارز على الأحجار المصقولة منذ عهد ما قبل التاريخ وبلغ القمة فى صلاحية الملك « نعرمر » التى سبق دراستها والتى تعد نقطة البداية لطابع الفن المصرى الذى بدأ ظهوره فى عهد الأسرات الأولى . ولقد عثر على لوحة حجرية فى مقبرة الملك « زت » أو « الملك الثعبان » بها نقش يصور الإله « حورس » واقفاً على مشيد يمثل واجهة القصر الملكى ، ورمز لاسم الملك بصورة ثعبان يقف فوق سور القصر ، وذلك كناية عن حماية الإله الصقر للملك والدولة (شكل ٣٨) . ويمتاز نقش هذه اللوحة بالدقة والعناية . وكانت التماثيل فى فترة ما قبل الأسرات صغيرة الحجم ، والظاهر أن صناعة تماثيل بالحجم الطبيعى لم تنتشر حتى آخر عهد الأسرة الثانية . فن بين الآثار الهامة التى ترجع إلى الأسرة الثانية عثر على تماثيل جالسين من الأردواز والحجر الجيرى للملك « خع سخموى »^(١) وتعتبر هذه التماثيل أقدم تماثيل ملكية عرفت فى تاريخ الفن المصرى . ويظهر فى كليهما الملك مرتدياً تاج الوجه القبلى جالساً على عرشه . ويده اليسرى مضمومة على صدره ، بينما تستقر اليد اليمنى المضمومة على الركبة (شكل ٣٩) وتزين القاعدة نقوش تصور الأعداء المهزومين من أهالى الوجه البحرى . ويوحى وجه الملك بالهيبه وجلال الملك . ويظن أن فنان الأسرة الثانية صنع تماثيل من الخشب والأبنوس والنحاس^(٢) ولكن هذه الآثار اندثرت ولم يبق لدينا منها شيء يذكر .

(١) عثر الأستاذ « كوبيال » فى هيراكنبوليس على هذين التماثيل والتشل المصنوع من الحجر الجيرى به تشم بالوجه ومحفوظ حالياً بمتحف القاهرة . والآخر من حجر الشست وهو مرم حالياً ومحفوظ بمتحف أشموليان بأكسفورد .

(٢) ذكر فى نقوش « حجر بالرمو » المسجل عليه أسماء ملوك الأسرة الثانية . أن الملك خع سخموى كان له تماثيل من النحاس .

(شكل ٣٨) لوحة الملك « زيت » من الحجر الجيري
وتقتصر النقوش على رسم الثعبان « الذي يرمز للملك » . على
واجهة الفص الذي يحمله الصقر حورس « متحف اللوفر »



(شكل ٣٩) تماثيل الملك « نخب تحمى » أحد ملوك الأسرة
الثانية وحجمه ثلث الحجم الطبيعي . متحف « أمبوليان »

الفنون التطبيقية :

عثر على صناعات دقيقة من ذلك العهد تدل على أن الصناعات الفنية بلغت درجة كبيرة من الدقة والجودة . فمن مقابر الأسرة الأولى عثر على سوارات من الذهب والفيروز واللازورد، ومن بين هذه السوارات وجد سوار به زخارف على هيئة واجهة قصر يعلوه الإله «حورس» . وتخص هذه الأساور زوجة الملك «زيت» . كما عثر أيضاً في مقبرة الملك «وديمو» خامس ملوك الأسرة الأولى على قطعة عاجية بها نقوش تصوره وهو يهوى بمقمعة على رأس أسير . ومن المصنوعات الذهبية الجميلة التي تنسب إلى ذلك العصر ما عثر عليه المنقبون في مقبرة الأمير «حماكا» وزير الملك «وديمو» .

الفصل الثاني

الدولة القديمة

ويشمل حكمها من الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة

٢٦٥٠ - ٢٢٩٠ ق . م .

تمهيد تاريخي :

أسس الدولة القديمة الملك « زوسر » أول ملوك الأسرة الثالثة في حوالي سنة ٢٦٥٠ ق . م ، ونقل العاصمة من « أبيدوس » في الوجه القبلي إلى مدينة « منف » جنوب الدلتا . وظهرت مصر في عهده كقوة كبيرة في منطقة الشرق الأوسط . خلفه في الحكم بعض الملوك ، ولكنهم لم يرتقوا إلى مرتبته . ولقد حافظ الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة (٢٦٠٠ - ٢٤٨٠ ق . م) على مكانة مصر في المنطقة ، فأرسل حملة إلى بلاد النوبة وليبيا . كما عمر في « وادي مغارة » على نقوش على الصخور تسجل حملاته في سيناء وانتصاره على بدو الصحراء . وينتقل مركز الحكم في عهد ملوك الأسرة الرابعة « خوفو » و« خفرع » و« منقرع » إلى الجيزة شمال « منف » .

وصلت مصر في عهد الدولة الخامسة ٢٤٨٠ - ٢٣٨٠ ق . م إلى مركز كبير ، مكنها من أن تكون أكبر دولة سياسية في الشرق الأوسط ، تدين لها فلسطين وسوريا والمدن الساحلية في فينقيا بالولاء . ولكن هذه العظمة تضمحل في عهد الأسرة السادسة الذي يشوبه عدم الاستقرار السياسي ، ويتحول الحكم إلى نظام شبه إقطاعي تتناهب الفوضى ، مما أدى إلى نهاية الدولة القديمة في حوالي ٢٢٩٠ ق . م .

يلي ذلك عهد اضمحلال تولت الحكم فيه الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة

والعاشرة واستغرق الفترة من ٢٢٩٠ إلى ٢٠٦٥ ق. م. والواقع أنه لا يوجد بين هؤلاء الملوك من كان له نفوذ قوى . وتركزت القوة في عهد الأسرتين الثامنة والتاسعة في أيدي الوزراء مما أدى إلى انقسام مصر إلى قوتين متصارعتين ، استقرت إحداهما في أهناسيا ، والأخرى في طيبة ، ويعتقد أن مقر حكم الأسرتين السابعة والثامنة مدينة منف ، بينما حكمت الأسرتان التاسعة والعاشرة في هيراكنبوليس .

العمارة :

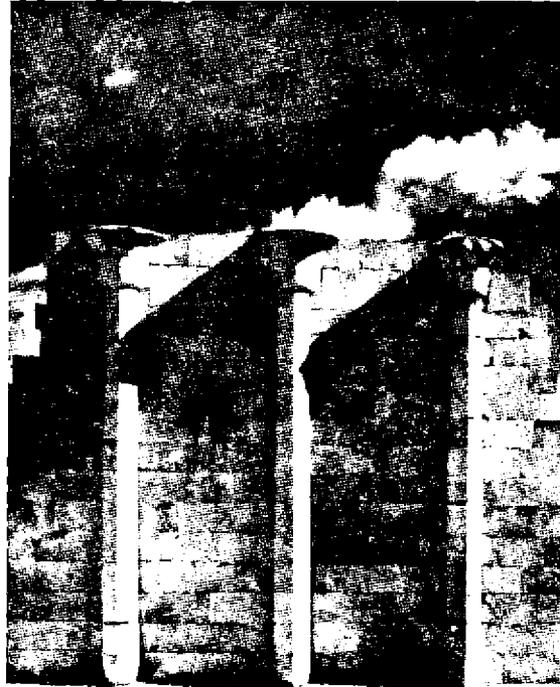
تطور فن تشييد المقابر وتقدم تقدماً كبيراً في عهد الدولة القديمة . وابتدأ هذا التطور في عهد الملك « زوسر » حيث شيد له وزيره وكاهنه « إحتب Imhotep » مقبرة مبتكرة في منف مكونة من ست مصاطب بعضها فوق بعض ، ويصغر حجم ما يعلو منها عما يسبقها . فبأخذ شكلها الخارجي شكل الهرم . ولقد عرف هذا الهرم باسم « الهرم المدرج » (شكل ٤٠) . ويعتبر ذلك إيداناً بظهور المقابر الهرمية الشكل في فن العمارة المصري . لم يكن هناك غرض لإقامة تلك المصاطب العلوية ، حيث تقع غرفة الدفن أسفل المصطبة الحجرية التي تكون قاعدة الهرم . وربما كان سبب هذا الابتكار هو رغبة « إحتب » في تشييد قبر ضخم للملك « زوسر » يعلو عن قبور نبلاء الدولة المحيطة بالهرم .

ولم يكتف « إحتب » بهذا الابتكار في التصميم ، بل استبدل باللبن الحجارة في تشييد هذه المصاطب . مما كان فاتحة عهد جديد في تاريخ العمارة المصرية . حيث أقبل المصريون بعد ذلك على استعمال الحجارة في مشيدياتهم ، ويعتبر هذا الهرم المدرج أول عمارة حجرية ضخمة في تاريخ العمارة المصرية ، بل يكاد يكون في تاريخ العمارة في العالم كله . وقد ألحق بهذا الهرم بهو المدخل ، ومعبد اليوبيل الملكي ، والمعبد الجنائزي .

ويظهر التجديد والابتكار أيضاً في مجموعة « المباني الجنائزية والمعبد » الملحقة



(شكل ٤٠) هرم الملك زوسر بسقارة .
 الأسرة الثالثة . ويتكون من ست
 مصاطب من الحجر فوق سطح الأرض
 ويظهر بجزء من المباني الملحقة بالهرم
 أنصاف أعمدة مستوحي شكلها من حزم
 البوص ٢٦٥٠ ق . م



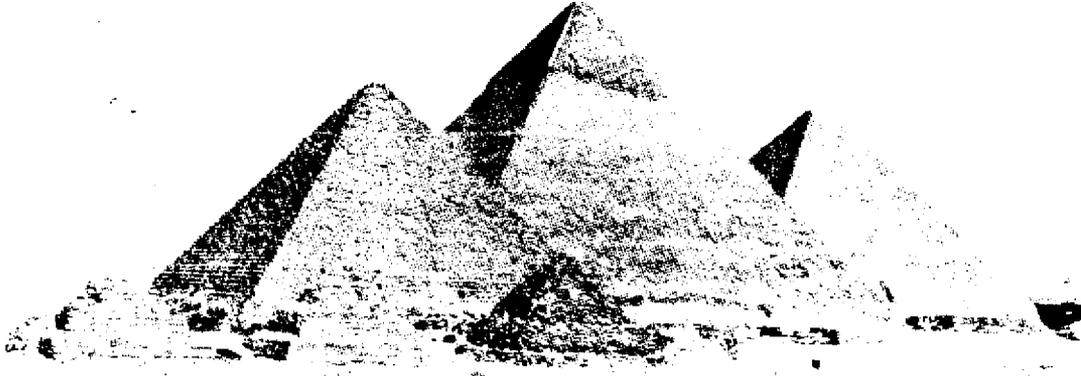
(شكل ٤١) جدار من الحجر من
 المباني المحيطة بالهرم المدرج بسقارة
 وتظهر به أنصاف أعمدة مستوحيحة من

بالهرم . فيلاحظ أن « إحتب » استنبط من نبات البردى أنصاف أعمدة حجرية متصلة بالجدار ، وذلك في مجموعة المباني الشمالية (شكل ٤١) كما استوحى من حزم البوص أعمدة متصلة بجدار بعض المباني الأخرى (شكل ٤٠) وحافظ على محاكاة الأعمدة الخشبية في أحجار سقف بهو المدخل . ويعتبر « إحتب » أول فنان عرف اسمه في تاريخ البشرية . وقد أله في العهود اللاحقة ، واعتبره الإغريق إله الطب والعلوم والهندسة .

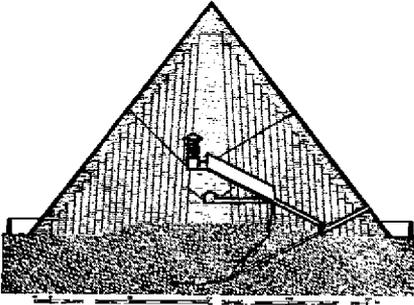
تطور فن تشييد المقابر الحجرية في أوائل عهد الأسرة الرابعة . ويبدو ذلك في هرم الملك « سنفر » الذى شيده في « ميدوم » فنرى هرمًا كاملاً فوق هرم مدرج . وهذه هي المحاولة الأولى لبناء الهرم . كما أخذ أحد أهراماته الموجودة في دهشور^(١) شكل الهرم الكامل الحقيقى الذى ظهر بعد ذلك في منطقة الجيزة . بلغ فن تشييد المقابر الهرمية الشكل القمة في الضخامة والروعة في عهد ملوك الأسرة الرابعة « خوفو وخفرع ومنقرع » (شكل ٤٢) ، الذين شيّدوا أهراماتهم في الجيزة . وتمتاز هذه الأهرامات بالضخامة إذا ما قورنت بالهرم المدرج . فقد شيّد « خوفو » هرمه فوق مساحة ١٢ فدانًا ، وبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً بينما يرتفع هرم الملك زوسر إلى ٦٠ متراً فقط . وتتميز الكتل الحجرية المستعملة في تشييد هذه الأهرامات بالضخامة ، إذ يزن كل حجر منها نحو طنين ونصف . ولقد كسيت جوانب هذه الأهرامات بطبقة مصقولة من الحجر الجيري زالت كلها مع الزمن ، ما عدا الجزء العلوى لهرم الملك خفرع .

وقد تغير التصميم الهندسى للمقبرة الهرمية في عهد الملك خوفو إذ انتقل مكان غرفة الدفن التى كانت تحت الأرض في هرم الملك زوسر إلى غرفة مشيدة في جسم الهرم ، غطيت جدرانها وسقفها بأحجار ضخمة من الجرانيت (شكل ٤٣) . وبما أن مقبرة الملك كانت عادة تتوسط الجبانة الملكية . لذلك نجد في شرقه وجنوبه أهرامات صغيرة خاصة بأعضاء الأسرة المالكة ، بينما تقع مصاطب رجال الدولة (شكل ٤٤) في الجنوب . ويلحق عادة بالهرم من الناحية

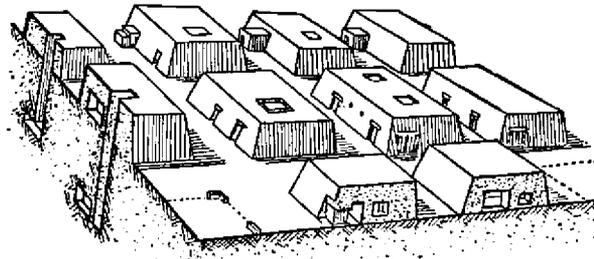
(١) نسب الهرمان الموجودان في دهشور إلى الملك سنفر وبذلك يكون له ثلاثة أهرامات .



شكل ٤٢) أهرام الجيزة التي شيدها الملوك
فؤاد وخفرع ومنقرع. الأسرة الرابعة -
٢٥٧ ق.م. - ٢٥٣٠ ق.م. - ٢٥٠٠ ق.م.



(شكل ٤٣) مقطع رأسى لشكل الهرم
الأكبر الخاص «بالملك خنوف» بالجيزة - الأسرة
الرابعة. عن رسم الأستاذ (ل. بورشادت)



شكل ٤٤) رسم كروكي لمصاطب
إمام بالجيزة - الأسرة الرابعة



(شكل ٤٥) تمثال أبي الهول
المنحوت في الصخرة الموجودة
بجانب معبد الملك خفرع بالجيزة
الأسرة الرابعة ٢٥٣٠ ق.م.

الشرقية معبد جنازى، يفتح على طريق يؤدي إلى معبد ثان يعرف بمعبد الوادى. ولعل أحسن مجموعة معمارية عثر عليها كاملة هي المجموعة المحيطة بهرم الملك « خفرع ». وترجع أهميتها أيضاً إلى التمثال المنحوت من الصخر الموجود بجانب معبد الوادى على هيئة حيوان رابض بجسم أسد ورأس آدمى (شكل ٤٥) ويعرف « بأبى الهول »^(١)، ويرجح أن رأسه التى يبلغ ارتفاعها حوالى ستة أمتار تمثل الملك خفرع . وأنه قصد بنحته فى هذا المكان حماية مدخل المعبد^(٢).

ولم تبلغ هندسة عمارة المقابر من الكمال ما بلغته فى عهد بناء الأهرام . وهذه المشاريع المعمارية الرائعة الضخامة التى قام بها فنانون الدولة القديمة تمثل الدرجة القصوى فى العظمة التى وصل إليها فن المعمار المصرى فى الدولة القديمة . حيث إنه لم يعثر على أهرامات بهذه الضخامة بعد ذلك العهد . وبالرغم من أن بناء الأهرام كان رمزاً للطاعة الإلهية يقوم به المصرى راضياً وهو معتقد أنه يودى واجباً مقدساً للفرعون الذى يمثل الإله على الأرض^(٣) فقد نسب بعض الكتاب خطأ إلى الملوك الفراعنة استعباد الرعايا فى عملية تشييد الأهرامات . ولقد ثبت من أقوال بعض المؤرخين القدماء أن هؤلاء الأفراد كانوا يتقاضون أجراً مقابل قيامهم بهذه الأعمال ، مما ساعد على انتعاش الحالة الاقتصادية فى مواسم الفيضانات حين تتوقف أعمال الزراعة^(٤)

• النحت

بلغت صناعة التماثيل درجة كبيرة من الدقة فى الدولة القديمة وقد استخدم

(١) هذه التسمية عربية ومن أمثالها المصرية «شبه عنخ» ومعناها الصورة الحية . وحرفها لإغريق إلى « سفنكس » .

(٢) ولو أن أبى الهول ليس عملاً مهنياً إلا أنه يصعب الفصل بينه وبين عمارة الهرم .

(٣) ذكر ذلك فى كتب الأساتذة : ص ١٦٣ "Jequier" Histoire de la Civilisation

Egyptienne ص ٢٢١ الجزء الثانى "Mey" Histoire de l'art

(٤) ذكر « هيرودوت » أن الفلاحين كانوا مضطرين لترك حقولهم أثناء غمرها فى موسم

الفيضان ليساعدوا فى بناء الأهرام مقابل طعامهم وكسائهم .

الفنان في صناعتها مختلف المواد التي وجدها تحت يده . ويلاحظ أن التماثيل في ذلك العهد كانت تصنع بغرض وضعها في سرداب الدفن . لذلك كانت تنحت بدقة من الجهة الأمامية أما الأجزاء الخلفية فلا يعنى بنحتها .

عبر الفنان في تماثيله الملكية عن اعتقاده بجلالة وقدسية الفرعون . لذلك ظهرت تماثيله ساكنة يتسم وجوهها بالوقار . ومثال ذلك تمثال الملك زوسر (شكل ٤٦) بالحجم الطبيعي الذي يمثله في سن متقدمة جالساً ويده اليسرى موضوعة على صدره . أما اليسرى فموضوعة على ركبته . ويتسم وجه هذا التمثال بطابع الصرامة ووقار الملك . كما يظهر به آثار ألوان . ولقد وجد هذا التمثال في حالة سيئة لا تمكننا من دراسته حتى نستطيع التعرف على تطور فن النحت في الأسرة الثالثة .

ولقد جرت العادة في الدولة القديمة على تلوين التماثيل المصنوعة من الحجر الجيري ، فأجسام الرجال تلون باللون الأحمر البني وأجسام النساء باللون الأصفر ويرجع ذلك لتعرض الرجل لأشعة الشمس خارج المنزل ، بينما تحتفظ المرأة التي لا تتعرض كثيراً للشمس ببياض بشرتها . وأحسن مثال لذلك تماثالا « الأمير رع حوتب والأميرة نوفرت » (شكل ٤٧) . اللذان صنعا في أوائل عهد الأسرة الرابعة في فترة حكم الملك « سنفرو » . ولقد عُثِرَ على تمثال الأمير وزوجته في سرداب مقبرة الأمير في « ميدوم » . ويلاحظ بدراسة هذه المجموعة التقدم الذي طرأ على فن النحت . كما تكشف خطوطه اللينة البسيطة عن براعة في التعبير عن رشاقة جسم الأميرة الذي لم يستطع زيبها الطويل إخفائه ، وقد ساعد على إبراز حيوية هذه التماثيل الأعين المرصعة بأحجار شفافة .

ولا نزاع في أن التقدم الذي أحرزته الأسرة الرابعة في فن المعمار لا بد أن يصاحبه تقدم في فن النحت . فالقطع التي عُثِرَ عليها من ذلك العهد تعتبر أحسن نماذج لفن النحت في الدولة القديمة . كما تجعل الفنان المصري يتصدر نحائى العالم القديم .

الحجر الجيري وبه آثار اللون - الدولة القديمة « المتحف
المصرى بالقاهرة »



(شكل ٤٧) تمثالا « رع حتب » وزوجته الأميرة
« نفرت » من الحجر الجيري الملون . أوائل عهد الأسرة
الرابعة - الدولة القديمة « المتحف المصرى بالقاهرة »



لم يعثر للآن على تمثال بالحجم الطبيعي للملك خوفو ، وإنما عثر الأستاذ « بترى » على تمثال صغير له من العاج يمثلُه جالساً (شكل ٤٨) ويعتبر هذا التمثال أول التماثيل الملكية التي استخدم العاج في صنعها . إلا أنه لا يساعدنا في دراسة فن النحت في عهد الدولة الرابعة .

وتتوفر هذه الدراسة في تماثيل^(١) الملك خفرع التي تعتبر المثل الأعلى لتماثيل الدولة القديمة ولقد عثر عليها في معبد الوادي الملحق بهرمه في الجيزة . وبدراسة أحد هذه التماثيل يلاحظ أن الفنان صور الملك جالساً على عرشه في وضع تقليدي^(٢) . ومن خلف رأسه الصقر « حورس » ناشراً جناحيه ليظله بحمايته (شكل ٤٩) . وقد استوحى الممثل الشكل التكميبي في عمل تمثاله الذي امتاز بتصميم فريد . فقد حاول الحصول من تلك الكتلة الحجرية على تمثال ذي ثلاثة أبعاد . وتمكن من التغلب على صعوبة نحت التمثال من الناحية الجانبية ، فسجل جميع التفاصيل الموجودة بها . كما أنه راعى النسب الصحيحة للجسد البشري .

وقد نخبّر الفنان حجر الديوريت الداكن لصنع تمثاله . وبالرغم من صلاحية هذا الحجر وصعوبة نحته ، إلا أن الفنان تمكن ببراعة من صقل سطوحه . ونجح في تصوير التعبير الموجود على وجه الملك . فيشعر الناظر إليه بما يتسم به الملك من قوة وشموخ وكبرياء . ومما يلاحظ في هذه التماثيل الملكية أن وجه التمثال كان ينحت بوضع واحد دون إظهار أية حركة أو تعبير قد يغير من ملامحه . كذلك كان من المعتاد أن يرسم للشخص عدة تماثيل متطابقة^(٣) . ولما كان الغرض من صنع التمثال أن تحل فيه القرين ، لذلك كان غالباً

(١) باستثناء التماثيل الواقعة عثر للملك على سبعة تماثيل جالسة خمسة منها من حجر الديوريت وواحد من الشست وواحد من المرمر .

(٢) كانت التماثيل الملكية الجالسة حتى عهد خوفو تمثلهم وإحدى أيديهم على الصدر والأخرى على الركبة . اختلف التصميم الخارجى منذ عهد الملك خفرع فاستقرت اليدان على الركبتين مما ساعد على استقامة الخطوط الخارجية للتمثال .

(٣) عثر على ٢٣ تمثالا للملك خفرع ، وعلى ٥٠ تمثالا في مصطبة النيل خنمب Khnumbe

(شكل ٤٨) تمثال صغير من العاج للملك خوفو جالساً
الأسرة الرابعة - الدولة القديمة « المتحف المصري بالقاهرة »



(شكل ٤٩) تمثال الملك خفرع جالساً . من حجر
الديوريت الداكن . الأسرة الرابعة - الدولة القديمة .
« المتحف المصري بالقاهرة » ٢٥٣٠ ق . م



(شكل ٥٠) تمثال الملك منقرع وزوجته من الحجر .
الأسرة الرابعة - الدولة القديمة ، متحف مدينة « برستون »

ما بصور المتوفى في عنفوان شبابه .

ومن أروع التماثيل التي تصور شباب الملوك مجموعة تماثلي الملك « منقرع » مع زوجته (شكل ٥٠) . ولقد مثل الملك واقفاً وذراعااه مبسوطتان على الفخذين ، ويداه مقفلتان والإبهام ظاهر . وتقف زوجته بجانبه مطوقة إياه باحدى ذراعيها . ويمثل هذا التمثال الكمال في التعبير عن جمال الرجولة والأنوثة مع الاحتفاظ بجمال الشخصية ، كما عبر عنه أحد نوابغ مثالي الدولة القديمة . وقد استطاع الفنان أن يظهر في الحجر رقة زى الملكة الذي تظهر من خلاله عحاسن وجمال الجسد . وكان هذا الرداء الملتصق شائعاً في الدولة القديمة . ولقد امتاز تصميم هذا التمثال باستقامة الخطوط وبساطتها مما ساعد على إبراز الخصائص الأساسية للأشخاص بوضوح .

ولم يقتصر صنع التماثيل على الملوك في الدولة القديمة . بل عثر على تماثيل للنبلاء ، وكانت تماثيل الأفراد أقل هيبه من تماثيل الملوك ، وتميزت بتعبير وحيوية أكثر . ومثال ذلك تماثيل النبيل « كاهر Ca-per » (شكل ٥١) من عهد الأسرة الخامسة . ويعرف حالياً باسم شيخ البلد^(١) . صنع هذا التمثال من الخشب وعيناه رصعت بأحجار ملونة شفافة . ولقد ساعدت الحامة اللينة المثال على التعبير عن شخصية صاحب التمثال الذي نشعر أنه لرجل في منتصف العمر .

ولقد ظهر في أواخر الأسرة الرابعة وابتداء الأسرة الخامسة تماثيل لأشخاص في وضع جديد « جالسين القرفصاء » وتصور هذه التماثيل فئة الكتاب ، وكانت مهنة الكاتب محترمة ويشغلها شخص من البلاط الملكي ، كما كانت في أول الأمر مقصورة على أبناء الملوك والأمراء ، ولم تعرف شخصية أصحاب هذه التماثيل . ونرى أحدهم جالساً القرفصاء (شكل ٥٢) ، ويحمل لوحة الكتابة وممسكاً قلماً ، ويلاحظ على وجه صاحب التمثال تعبير

(١) أطلق عليه هذا الاسم العمال المصريون الذين اكتشفوه أثناء عمليات التنقيب وذلك لمشابهته

(شكل ٥١) تمثال من الخشب للتبيل « كابر » واقفاً
وشهرته شيخ البلد . الأسرة الخامسة - الدولة القديمة .
« المتحف المصري بالقاهرة »



(شكل ٥٢) تمثال من الحجر الجيري للكاتب القاعد
الفرغصاء. صنع حوالي ٢٤٠٠ ق. م. الدولة القديمة « المتحف
المصري بالقاهرة »



(شكل ٥٣) تمثال من النحاس خاص بالملك (بيبي
الأول) وخلفه تمثال صندل من النحاس . لانه (الأسرة السادسة -

يدل على اليقظة والانتباه .

تمكن الفنان في الدولة القديمة من استخدام النحاس في عمل تماثيله وذلك لزيادة استغلال النحاس الموجود في وادي « مغارة » بشبه جزيرة سيناء . فعثر « كويل » في « هيراكنبوليس » على تماثيل من النحاس للملك « بيبى الأول » (شكل ٥٣) أحد ملوك الأسرة السادسة ومعه تماثيل آخر صغير الحجم لابنه « مون رع » .

ولا ينبغي أن نختم دراستنا لفن النحت في الدولة القديمة دون أن نذكر الرموس الحجرية التي كانت توضع بالمقبرة فئرى في إحداها (شكل ٥٤) بلوغ الفنان القمة في تمثيل صورة المتوفى .

النقوش البارزة :

أظهر الفنان المصرى مهارة وتقدمًا في حفر الصور البارزة على السطوح الصلبة والهشة منذ عصر ما قبل الأسرات ونجد أن هذا الفن تطور تطوراً ملحوظاً في الدولة القديمة تبعاً للحاجة إلى نقش صور من حياة صاحب القبر اليومية على جدران مقبرته وذلك لاعتقاده أنه من الجائز أن تنقلب إلى صور حقيقية يتمتع بها في حياته الأخرى . وكانت هذه المناظر ، إما أن تكون منقوشة على الحجر . وإما أن ترسم على أرضية من الطين المعطى بالجص ثم تلون . وكان الفنان في عهد الدولة القديمة يفضل المناظر المنقوشة على الحجر أو الخشب على المناظر الملونة ، لأن الأولى فيها نوع من التجسيم يقربها إلى الحقيقة . وكذلك لقلة تطرق التلف إليها بعكس الصور الملونة التي قل أن تحتفظ بألوانها عبر الزمن . والنقوش على نوعين : بارز وهو ما ينحت فيه ما حول أجزاء الموضوع بحيث تبرز الأشكال فوق مستوى الجدار ، وغائر ويكتفى فيه بحفر الخطوط المحددة للأشكال كما تنحت تفاصيلها . وهذه الخطوط تكون أعمق من سطح الجدار .

وتتميز النقوش الموجودة على جدران المقابر الملكية بالمواضع الدينية ، وتقدم

مقبرة الملك زوسر نموذجاً لذلك . فنشاهده ممشوق القوام مرتدياً تاج الوجه القبلي يقوم ببعض الطقوس الدينية (شكل ٥٥) ، وبالرغم من أن هذه النقوش ذات بروز بسيط عن الخلفية إلا أن خطوطها الدقيقة تدل على دراسة واضحة لجسم الملك الذي ظهرت تفاصيله بوضوح .

وتضارع النقوش المنحفورة على الألواح الخشبية التي عثر عليها في مقبرة النبيل «حسي رع» - الكاتب الأول في عهد الملك زوسر - النقوش السابقة . وربما ساعد الفنان على إحادتها طراوة مادة الخشب . وتصور هذه النقوش فترات مختلفة من حياة النبيل فتراه في إحداها واقفاً وبيده أدوات الكتابة (شكل ٥٦) . و بازدياد ثروات أمراء وكبار رجال الدولة في عهد الأسرتين الرابعة والخامسة بلغ النقش البارز كمالاً ملحوظاً . حيث كثر ظهور النقوش البارزة لصور من حياة أصحاب القبور تدل على ثراء كبار الموظفين وامتلاكهم للضياع الواسعة . فتوضح تلك النقوش صوراً من الحياة داخل المنزل ، تمثل الحفلات التي يقيمونها وكيفية إعداد الطعام والشراب ، كما نرى صوراً لأحداث من خارج المنزل تسجل حياة الزراعة من حرث وحصد وتربية الطيور ورعى الماشية ، ونلاحظ ضمن هذه المناظر تسجيلاً مفصلاً للحرف المختلفة ، وهكذا أصبحت جدران هذه القبور أشبه ما تكون بالكتب المصورة للحياة المصرية ، وقد تميزت صور الحيوانات والطيور بالجودة ، كما راعى الفنان في تصميماته جمال الخطوط ، وظهر بوضوح الطابع الزخرفي .

ومن أهم المقابر ذات النقوش الجميلة مقبرتنا النبيل « تي تي » و « بتاح حتب Ptahotep » من عهد الأسرة الخامسة في سقارة . إذ تمتاز نقوشهما بتنوع الموضوعات وحيوية المناظر وجمال الخطوط . وتعتبر مقبرة النبيل « تي »^(١) أحسن مثال لذلك حيث تروى نقوشها صوراً من حياته . فيظهر في إحداها واقفاً في قاربه في وضع ثابت لا حركة فيه ، يراقب رجاله المستقلين قارباً آخر

(١) يرجع تاريخ هذه المقبرة إلى عهد الملك « إسي Issi » . وقام بالكشف عنها ماريث

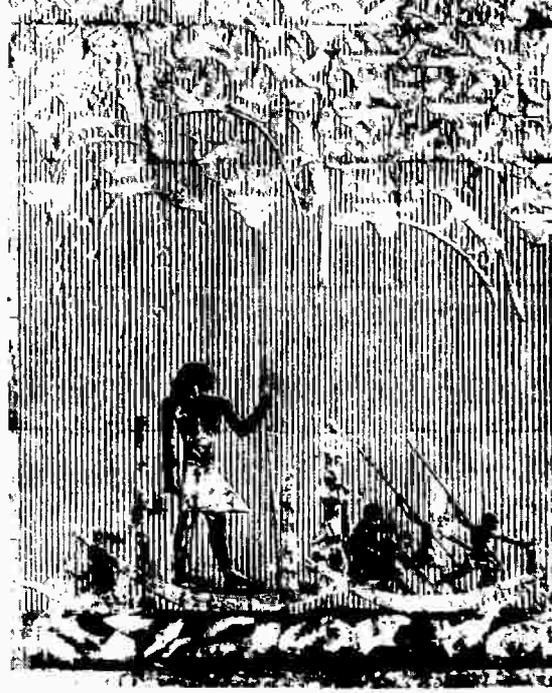
أمر بالحيزة، ٢٥٨٠ ق. م الدولة القديمة « المتحف المصري
بالقاهرة »



(شكل ٥٥) نقش على جدار حجري يصور الملك زوسر
يقوم ببعض الطقوس الدينية، الأسرة الخامسة - الدولة القديمة

(شكل ٥٦) نقش على لوح من الخشب يصور النبيل
« حسر رع » مسكاً بأدوات الكتابة، الأسرة الثالثة - الدولة
القديمة. « المتحف المصري بالقاهرة »





(شكل ٥٧) النيبيل « تي » يراقب صيد فرس البحر. نقش جدارى ملون بمقبرة النيبيل بسقارة - الدولة القديمة ٢٤٠٠ ق . م

(شكل ٥٨) قطع من المعجول يعبر بجزى مائيا . نقش جدارى ملون بمقبرة النيبيل « تي » بسقارة - الدولة القديمة ٢٤٠٠ ق . م



(شكل ٥٩) لوحة « الإوزات » جزء من تصوير جدارى ملون وجد في مقبرة « ميمدوم » بولة القديمة المتحف المصرى بقاهرة »



يصطادون فرس البحر (شكل ٥٧) . ويدل تصميم المنظر على مهارة ومقدرة فنية كبيرة . حيث استخدم الفنان نبات البردى النامى فى الماء كخلفية للصورة ، وسجل عليها أشكال الطيور المختلفة التى تقف على زهرات النبات . ويلاحظ اهتمام الفنان بتسجيل الأحداث وقت وقوعها فنشاهد حيوانين يهاجمان أعشاش الطيور ، كما يظهر الطابع الزخرفى فى التعبير عن المياه الشفافة التى تظهر فيها الأسماك وفرس البحر بخطوط متعرجة .

ويلاحظ فى هذه الصورة استمرار الطابع الفن المصرى الذى ظهر فى أوائل العهود . فالنبيل « قى » رسم بحجم أكبر عن بقية الأشخاص الموجودين معه ، وهذا رأياه فى لوحة الملك نعرمر من قبل . كما تذكرنا وقفة النبيل بلوحة الكاتب « حسى رع » الخشبية .

ومن موضوع آخر مسجل على جدران هذه المقبرة ، يتضح إحساس الفنان المرهف ومقدرته الفائقة فى تسجيل الانفعالات النفسية التى تعبر عنها الكائنات المرسومة فى الصورة . فنشاهد قطعاً من العجول يخوض مجرى مائياً ، بينما يحمل تابع عجلاً رضيعاً خوفاً عليه من الغرق (شكل ٥٨) . وهنا يصل الفنان إلى القمة فى تسجيله انفعال الخوف الذى أصاب الحيوان الصغير فالتفت إلى أمه طالباً النجدة ، بينما تجاوبه الأم منادية لتشعره بالاطمئنان لوجودها ، كما يلاحظ أيضاً براعة الفنان فى تسجيل شفافية المياه التى لا تحجب أرجل الرجال والعجول .

التصوير :

استخدم الفنان أحياناً الألوان فى توضيح نقوشه البارزة . كما استعملها أيضاً فى عمل صور جدارية على طبقة الجص المغطى للجدران . وأشهر مثل لهذا النوع الأخير صورة « الأوزات الست » (شكل ٥٩) نقلت من مقبرة زوجة « نفر ماعه » بميدوم إلى المتحف المصرى . وتشهد هذه اللوحة بدقة الفنان فى اختياره للألوان الطبيعية لهذه الطيور .

الفنون التطبيقية :

تشير الآثار التي عثر عليها من عهد الدولة القديمة على أن فن الصناعات الدقيقة كان مزدهراً . حيث عثر على أوان من المرمر تفنن الصانع في أشكالها . كما تدل القلادة المنقوشة على ربة الأميرة « نوفرت » (شكل ٤٧) على دقة ومقدرة الفنان في تطعيم المصنوعات المعدنية بالأحجار الملونة المتناسقة . وأكبر مجموعة من المصاغ عثر عليها في مقبرة الملكة « حتب حرس » والدة الملك « خوفو » وتتضمن هذه المجموعة أواني ذهبية وبخلائيل فضية مرصعة بالفيروز واللآلئ . كما أنه عثر على رأس صقر ذهبية من عهد الأسرة السادسة . إلا أن الفنون اضمحلت في أواخر الأسرة السادسة لما شاب تلك الفترة من عدم الاستقرار السياسي ، ولم نحصل على آثار فنية من عهد الاضمحلال الأول .

[لوحة رقم ١]

جزء من تصوير جدارى ملون وجد في
لمحدى مقابر أمراء الأسرة الثامنة عشرة -
الدولة الحديثة ، ويعصور هذا الجزء فرقة
عازفات وراقصات - المتحف البريطانى .



الفصل الثالث

الدولة الوسطى

وتشمل حكم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ٢٠٦٥ - ١٧٨٧ ويلى ذلك عهد الاضمحلال الثانى (ويشمل حكم الهكسوس) من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة ١٥٨٧ - ١٥٨٥ ق . م

تمهيد تاريخى :

حدثت فى أواخر عهد الأسرة العاشرة ثورة على الحكم ساعدت حكام « طيبة » فى الجنوب على الانتصار على ملوك « أهناسيا » . ومن أشهر أمراء طيبة الملك « منتوحتب Mentuhotep » الذى وحد البلاد بعد أن قضى نهائياً على المملكة الأهناسية ، وتمكن من الوصول إلى مصر الوسطى والدلتا . وبذلك توج ملكاً على مصر العليا والسفلى ، وكون الأسرة الحادية عشرة وترك لخلفائه دولة قوية موحدة . استتب فيها النظام . ولم تعمر الأسرة الحادية عشرة طويلاً . وتخلل أواخر عهدها تنازع على الحكم . إلى أن تمكن أمير آخر من طيبة « أمنمحتب الأول^(١) » من الاستقلال بالحكم . وأسس الدولة الثانية عشرة أقوى أسر الدولة الوسطى ، وذلك فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . وقد نقل ملوك الأسرة الثانية عشرة مركز حكمهم إلى مركز متوسط بين الشمال والجنوب فى مدينة « اللشت » وتميز حكمهم بانتعاش جديد لنفوذ الدولة المصرية امتد إلى شمال سوريا حتى مدينة « أوغاريت » حالياً « رأس الشمرة » ، ولكن السوريين تمكنوا من الاستقلال عن حكم مصر بعد أن ضمهتم فى أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة .

(١) ولد أمنمحتب فى «فنخ» من أم نوبية وكان أقوى رجل فى الدولة حادس . كونه أسس الدولة

نقل ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذين ترجع نشأتهم إلى «طيبة» عاصمة حكمهم إلى بلدة «تانيس» في الوجه البحري. وقد انتاب عهد هذه الأسرة الفوضى. كما كثرت الحروب الداخلية.

ولأول مرة في تاريخ مصر يأتي الغزو من الخارج في حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م حيث تمكنت قبائل غير متحضرة نزحت من إقليم «ميتاني Mitani» شمال سوريا — بعد أن انضم إليها بعض قبائل الحوريين والكنعانيين وبدو الصحراء — من الإغارة على الجزء الشمالي من مصر. وكسبوا الحرب بأسلحتهم الحديدية وعرباتهم الحربية التي تجرها الخيول. واستمر هؤلاء الغزاة الذين يعرفون باسم «الهكسوس»^(١) أو «ملوك الرعاة» في حكم الجزء الشمالي من مصر لمدة قرن ونصف. واتخذوا عاصمة لهم في شرق الدلتا اسمها «أواريس»^(٢) Avaris «وأجبروا ملوك الأسرة الثالثة عشرة الضعفاء الذين انتقلوا إلى طيبة في الجنوب، وملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين تلوهم، على دفع الجزية. ولكن أمراء طيبة تمكنوا من الثورة على الغزاة في حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م. وقامت حروب تحرير في عهد ملوك الأسرة السابعة عشرة بطلاها الملك «سكنرع Sekenenra» وابنه «كاموزا» اللذان استطاعا في نهاية الأمر إجلاء الهكسوس عن البلاد ومطاردتهم شرقاً.

ومن هذه الدولة المليئة بالأحداث، لم يعثر على قطع فنية هامة يمكن مقارنتها بالعمارة الفذة والتماثيل العظيمة التي امتازت بها الدولة القديمة. ويمكن القول بأنه كانت هناك طفرة فنية في عهد الأسرة الثانية عشرة، حيث وحدت البلاد واستقرت الأمور، مما شجع الفنان على التقدم في فنه، فظهرت له أعمال كثيرة، ولكن هذه الطفرة تلتها فترة حكم الهكسوس التي لم تخلف لنا

(١) أطلق «مانيتو» عليهم هذا الاسم الإغريقي الأصل. ولكن هناك قولاً آخر بأن اللفظ تعبير مصري مكون من كلمتين «هك - سوس Hek-sos» ويعني حكم البلاد الأجنبية.

(٢) تقع هذه المدينة قرب مدينة الزقازيق.

آثاراً ضخمة كالنحت والعمارة ، وقد يكون الداعى لذلك أن المصريين حين طردوهم حطموا كل ما يمت لهم بصلة .

العمارة :

بعد زوال عهد الدولة القديمة لم تظهر في مصر مقابر هرمية عظيمة كالتى شيدها ملوك الأسرة الرابعة . ولقد عثر على مقابر هرمية أقل حجماً من مقابر الأسرة الثانية عشرة ، حيث وجدت أهرامات للملوك « أمنمحتت الأول » ، « سيزستوريس ^(١) الأول » في « اللشت » و « أمنمحتت الثاني » « سيزستوريس الثالث » في « دهشور » و « أمنمحتت الثالث » و « سيزستوريس الثاني » في هواره و « اللاهون » بمنطقة الفيوم . كما كانت هناك بطبيعة الحال مصاطب للأمرء محيطة بالأهرامات . ولم تستخدم الحجارة في تشييد هذه الأهرام ، بل استعمل الطوب اللبن الذى غطى بكساء من الحجارة . ولقد زال هذا الكساء مع الزمن ولا وجود له الآن .

شيد ملوك الدولة الوسطى معابد للآلهة المختلفة في الأقاليم ، وشاع استعمال المعبد المحاط بأعمدة ، كما كثر ظهور الأعمدة المقتبسة من شكل النخيل . ومن أشهر المعابد الجنائزية التى عثر عليها من ذلك العصر معبد « متوتحتب » بالدير البحرى ويتميز بمسطحين فوق بعضهما يعلوهما بناء هرمى (شكل ٦٠) ومعبد « أمنمحتت الثالث » الجنائزى فى هواره ^(٢) .

وتعتبر مقابر النبلاء الصخرية المنحوتة فى الجبل الذى يحيط بالوادى الضيق فى الجنوب من أحسن ما أنتجه الفنان وبخاصة مقابر « بنى حسن » « والبرشة » « وفاو الكبير » .

ومنذ عهد الدولة الوسطى ، كانت تقام مسلتان على جانبي مدخل المعبد .

(١) يطلق على سيزوستوريس أيضاً اسم « سنوسرت » Senosert .

(٢) أعجب الإغريق بهذا المعبد وأطلقوا عليه اسم « اللابيرنت » « التيه » لتشبه أهدان ويرانه

وقال عنه هيرودوت إنه يفرق الأهرام .

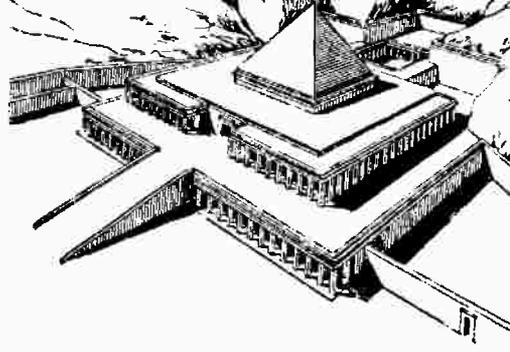
وهذه المسلات^(١) نحتت عادة من قطعة واحدة من الحجر ، وينقش عليها اسم الملك وألقابه . وقاعدة المسلة على شكل مربع ، وتضيق جوانبها تدريجياً إلى أن تنتهى بشكل هرمى . ومن الآثار المعمارية القليلة التى نجت من تدمير الهكسوس فى فترة حكمهم لمصر ، مسلة الملك « سيزوستوريس الأول » التى شيدها أمام معبد أبيه فى « هليوبوليس » شمال شرق القاهرة . وهى تعتبر أقدم مسلة طويلة نحتت فى تاريخ العمارة المصرية ، إذا قورنت بالمسلة القصيرة الغليظة التى عثر عليها فى « أبو غراب » بالقرب من « أبو صوير » من عهد الأسرة الخامسة .

النحت :

ضعف فن النحت فى أعقاب الدولة القديمة وبقدر ما عثر على تماثيل كثيرة من عهد الدولة القديمة لم يعثر إلا على القليل من عهد الدولة الوسطى . ويبدو أن فن النحت لم يكن منتشرًا بالكثرة التى انتشر بها فى عهد الدولة القديمة . وأحسن ما عثر عليه من تماثيل الأسرة الحادية عشرة تمثال الملك « متوحب » الذى يظهر فيه مرتدياً تاج الشمال (شكل ٦١) وتشير تماثيل الأسرة الثانية عشرة إلى التطور الذى طرأ على فنان الدولة الوسطى . حيث نحت الفنان الملك على هيئة رجل وليس على هيئة إله . لذلك تنطق وجوه أصحابها بمسحة من القلق . وتعكس التجاعيد الموجودة بجبهاتهم الكفاح والحروب التى خاضوها فى سبيل تدعيم المملكة ، ومثال ذلك رأس الملك « سيزوستوريس » الثالث (شكل ٦٢) الذى حلت به سياء الكبر والقلق محل الشعور بالثقة والغبية والأوهية البادية فى تماثيل الدولة القديمة .

ويلاحظ أن ما استجد على فن النحت فى هذه الفترة هو ظهور نماذج خشبية يمثل بعضها طائفة العمال وأتباع أصحاب التجارة . ولقد بدأت هذه

(١) يعتقد بعض الباحثين أن المسلة ترمز للشمس ويعقدون أن الأجر فيها أوسع أو يد للإله



(شكل ٦٠) رسم تخطيطي لمقبرة الملك « منتوحب »
بالدفر البحري ، الأسرة الحادية عشرة ، الدولة الوسطى

(شكل ٦١) تمثال « الملك منتوحب » ، من الحجر
الجيري الملون ، الأسرة الحادية عشرة ، الدولة الوسطى ،
« المتحف المصري بالقاهرة »



(شكل ٦٢) رأس تمثال حاص
الملك سيزوتريس الثالث ،
الأسرة الثانية عشرة ، الدولة الوسطى



العادة منذ أواخر عهد الأسرة السادسة ، ولكنها انتشرت في عهد الدولة الوسطى ، ويمتاز بعضها بدرجة فنية عالية، كتمثال الفتاة التي تحمل سلة فوق رأسها (شكل ٦٣) وهنا يخرج الفنان عن الطابع الملكي . فيظهر فنناً شعبياً يمتاز بالبساطة . ونحصل من تلك الفترة أيضاً على تماثيل فخارية ملونة لحيوان فرس البحر (شكل ٦٤) .

التصوير :

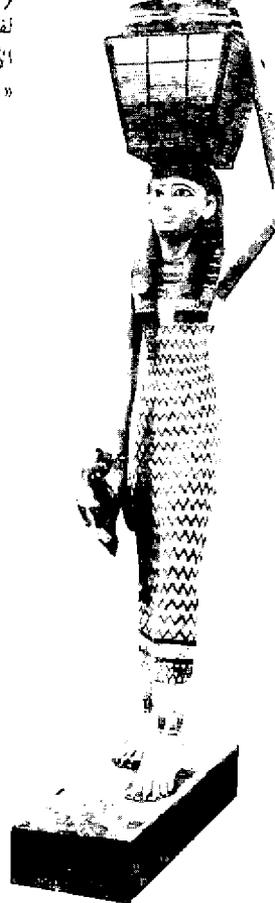
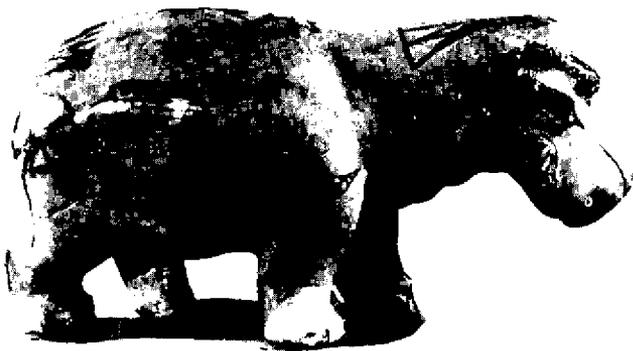
تعتبر التصاوير الجدارية الموجودة في مقابر حكام « بنى حسن » من أحسن ما أنتجه فنانو الدولة الوسطى . إذ أنها تتميز بالحوية والحركة ومحاكاة الطبيعة ، وأحسن مثل لذلك الصور الموجودة في مقبرة الأمير « خمحتب Khemhotep » في عهد الملك « سيزوستوريس الثاني » . فرى في إحداها مجموعة من الطيور فوق شجرة السنط النامية على حافة بركة (شكل ٦٥) . وتوضح هذه الصورة مقدرة الفنان المصرى وبراعته في محاكاة الطبيعة . فنلاحظ أنه وزع الطيور المختلفة على فروع الشجرة ذات الأوراق الدقيقة في تنسيق فنى جميل . كما أنه صور الملامح المميزة لهذه الطيور بدقة فائقة . فيظهر الهدهد بألوانه الطبيعية واقفاً بين مجموعة الطيور .

وعلى جدار آخر من هذه المقبرة نشاهد نقشاً لتابعين يقومان بإطعام حيوانين من فصيلة المها^(١) وهنا نلاحظ تقدم الفنان في فهم قواعد المنظور ، فبدلاً من أن يرسم الكائنات على خط أرضية واحد ، نجد أنه يرسم الحيوان الموجود بالناحية اليسرى على خط أرضية مرتفع قليلاً عن المجموعة اليمنى ، وذلك لإبراز العمق (شكل ٦٦) .

(١) يسمى هذا الحيوان أحياناً « أبو غفص أو أبو سيف » .

البحر ، من الفخار المحروق وملون
باللون الأزرق. الدولة الوسطى «المتحف
المصرى بالقاهرة»

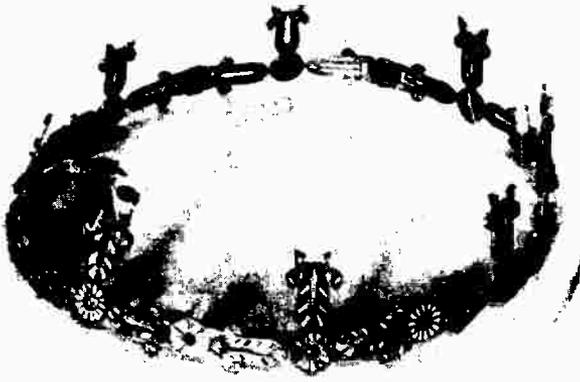
نفساء تحمل سلة فوق رأسها وفي يدها بطة ،
الأسرة الثانية عشرة . الدولة الوسطى .
« المتحف المصرى بالقاهرة »



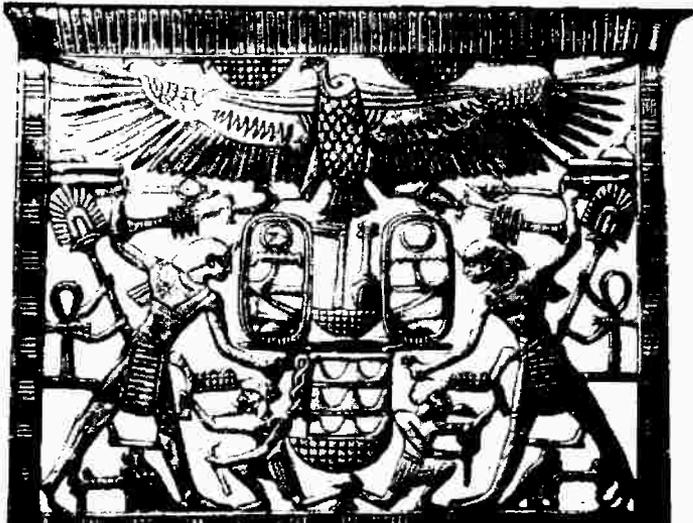
(شكل ٦٥) تصوير
جدارى وجد فى مقبرة
النيل « خنمحتب »
مقابر بى حسن .
وتظهر فيها مجموعة
من الطيور واقفة على
شجرة السنط « ١٩٢٠
ق. م »



شكل ٦٦) تابعان يطعمان حيوانين
رقة (جدارية) وجدت على مقبرة
« بنى حسن » « ١٩٢٠ ق.م »



شكل ٦٧) تاج الأميرة « خنمت »
نوع من الذهب ومطعم بالأحجار
كريمة ، الدولة الوسطى .
للمتحف المصري بالقاهرة «



شكل ٦٨) قلادة الملك «سينوسرتيس
ث : الدولة الوسطى . « المتحف

الفنون التطبيقية :

تميزت الدولة الوسطى بمجموعة فريدة من الحلى الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة ، عثر عليها في دهشور واللاهون^(١) ، ولدقة صناعتها وجمال صياغتها صرح بعض الباحثين بأنها تفوق كثيراً حلى الملك « توت عنخ آمون »^(٢) . ومن أجمل ما عثر عليه تاج الأميرة « خنمت » (شكل ٦٧) ابنة الملك « أمنمحت الثاني » وقلادة الملك « إيتا » . كما تعتبر القلادات والصدريات الذهبية التي عثر عليها في قبر الملك « سيزوستوريس الثاني » (شكل ٦٨) و « الثالث » من أجود المصنوعات الذهبية في تاريخ الفن المصرى .

(١) عثر على هذه المجموعة الأستاذ « فلاندرز بترى » .

(٢) يقول الأستاذ « بيكى » إن ما أخرجته مقابر الأميرات من عهد الأسرة الثانية عشرة يفوق

كافة ما عثر عليه في وادى الملوك .

في معركة قادش وقد تمكن الملك رمسيس الثاني^(١) سنة ١٢٩٨ ق.م من إنقاذ مصر بأعجوبة من أيدي « ميتالا Metalla » ملك الحيثيين وانتصر عليه في معركة قادش سنة ١٢٨٦ ق. م ثم وقع معاهدة سلام مع خليفته الملك « حاتوسيل الثالث » في سنة ١٢٧٨ ق. م وأكدها بزواجه من أميرة حيثية . وقد قوى نفوذ مصر في عهده وامتدت حدود الإمبراطورية في سورية حتى نهر « الأورنت » حاليًا « العاص » كما استمرت سيطرة المصريين على الجزء الجنوبي من بلاد « كنعان » . وقام خليفته « مرنبتاح »^(٢) بإخمداد الثورات التي قامت في سوريا وليبيا .

وفي السنين الأخيرة من القرن الثالث عشر تمكنت قبائل من جنس آري « نزحت من شمال آسيا الصغرى » من الاستيلاء على المدن الواقعة في شمال سوريا وفينقيا وشجعها ذلك النصر على غزو مصر . لكن الملك رمسيس الثالث هزمهم في سنة ١٢١١ ق. م وأتت الحضارة المصرية من نكسة أخرى .

ولخمسة مائة سنة بعد حكم رمسيس لم يوجد في حكم مصر شخصية ملكية تستحق الذكر حيث تلى عصره عهد إقطاع . وضعف نفوذ ملوك الروامسة الذين نقلوا مقر حكمهم إلى الشمال وتركوا طيبة لحكم كهنة آمون إلى درجة أن تساوى قدر الكاهن « حرحور Herihor » رئيس كهنة آمون مع فرعون مصر في سنة ١٠٩٠ ق. م . وتولى الحكم بعد ذلك أسرة دينية من كبار كهنة آمون وهي الأسرة الحادية والعشرون .

ويلاحظ مما أسلفنا أن مصر في عهد الدولة الحديثة كانت متحدة تحت حكم ملوك أقوياء امتد نفوذهم شرقًا وجنوبًا خارج حدود الدولة المصرية مما دعا بعض الكتاب إلى تسمية هذا العهد بالعصر الذهبي . وبلغت فيه

(١) يعتقد بعض المؤرخين أن اليهود خرجوا من مصر في عهده بينما يذكر البعض أن ذلك حدث في عهد إخناتون .

(٢) جاء ذكر بني إسرائيل لأول مرة في الآثار المصرية في لوحة خاصة بالملك مرنبتاح في سنة

العاصمة طيبة^(١) درجة كبيرة من الرق والرخاء لفترة طويلة لم تصل إليها مدينة أخرى في الشرق الأوسط القديم . ولقد ظهرت طيبة كعاصمة في الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الحادية عشرة بعد توحيد البلاد تحت حكم الملك « منتوحتب » ولكنها لم يكن لها شأن يذكر في عهد الدولة القديمة علماً بأنه عثر فيها على مقابر يرجع تاريخها إلى حكم الأسرة السادسة .

وكان الفن متقدماً بطبيعة الحال في طيبة نتيجة لحالة الرخاء السائدة ، خصوصاً بين طبقة الأمراء وكبار رجال الدولة . فشيّدوا القصور وزينوها كما أقاموا المعابد للإله . واختار الملوك البر الغربي من النيل لإقامة مقابرهم في الوادي الواقع خلف مرتفعات طيبة الغربية ويعرف الآن باسم « وادي الملوك^(٢) » كما تحت النبلاء وكبار رجال الدولة مقابرهم في سفح الهضبة وتميزت هذه المشيدات بنقوش بارزة وتصاوير جدارية وصلت إلى درجة كبيرة من الجمال والفخامة خصوصاً في مقابر النبلاء وكبار رجال الحكم .

وبطبيعة الحال أدت هذه النهضة الاجتماعية التي سادت في عهد الدولة الحديثة إلى نهضة في الفن والصناعة وإلى ظهور طبقة من الفنانين والصناع تميزت أعمالهم بالجمال والدقة والروعة . ويكاد يكون لكل أسرة في هذا العصر طابع خاص يميزها عن الأخرى . لذلك تشمل فنون الدولة الحديثة على أساليب وطرز متعددة فن العمارة الضخمة إلى المشيدات ذات الوحدات الزخرفية الرقيقة ومن التماثيل الضخمة الجامدة إلى التماثيل المتحررة المعبرة الجميلة .

العمارة :

اهتم ملوك الدولة الحديثة بتشيد المعابد للآلهة في أنحاء الدولة وكان أهمها ما يشيد للإله آمون إله طيبة . ولقد أصاب بعض هذه المعابد بعض الدمار حيناً

(١) أطلق عليها هذا الاسم الإغريقي ولكن هناك قولاً بأنها كلمة مصرية قديمة وسماها العرب الأقصر حين نخلوها معابدها قصوراً . وكانت تعرف قديماً باسم « نو آمون » أو « نو » .
(٢) باستثناء الملك إخناتون وجدت جميع مقابر الملوك في هذه المنطقة .

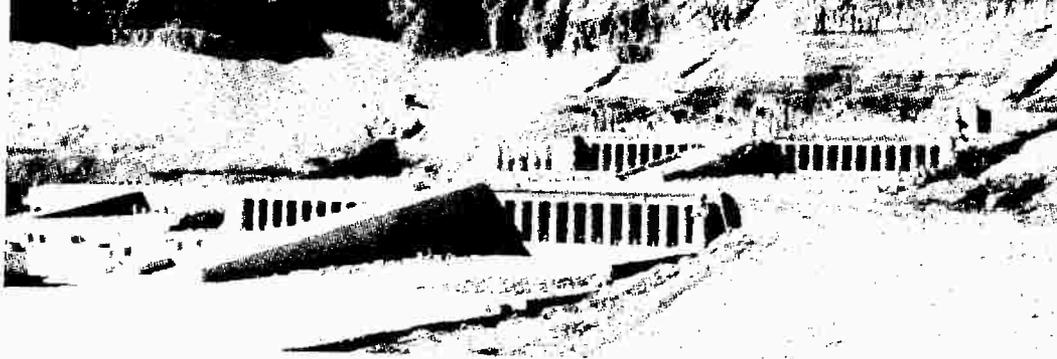
أغار « الفرس » على مصر . كما أزال البطالسة بعض المعابد القديمة المنتشرة في الجنوب الخاصة بالدولة الحديثة وأقاموا غيرها ولكن لحسن الحظ لم يمسا معابد طيبة . وقد شيد ملوك الدولة الحديثة المعابد الجنائزية في الضفة الغربية لطيبة وأهمها المعبد الذى أقامته الملكة حتشبسوت في كنف التلال الصخرية للدير البحرى (شكل ٦٩) . وخصصت به جزءاً لعبادة الإله آمون . ويعتبر تصميمه من أروع ما قام به الفنان المصرى في فن العمار .

يتكون هذا المعبد من ثلاثة مسطحات في مستويات مختلفة ، وتتصل هذه المسطحات ببعضها بواسطة طريق صاعد ينتهى عند السطح التالى ، وعلى جانبي الطريق مصاعد رواقان بها أعمدة ، وينتهى السطح الأخير بحجم الجبل الذى نحتت فيه قدس القداس ، ويختلف تصميم هذا المعبد الجنائزى عن معابد الدولة القديمة في الجزيرة . ففي معبد الملكة حتشبسوت ينتهى المعبد بحجرة الإله المنحوتة في الكتلة الحجرية الصماء بينما ينتهى المعبد بالمقبرة الهرمية في الدولة القديمة . وينافس تصميم معبد الملكة حتشبسوت أى بناء عظيم من عصر الدولة القديمة .

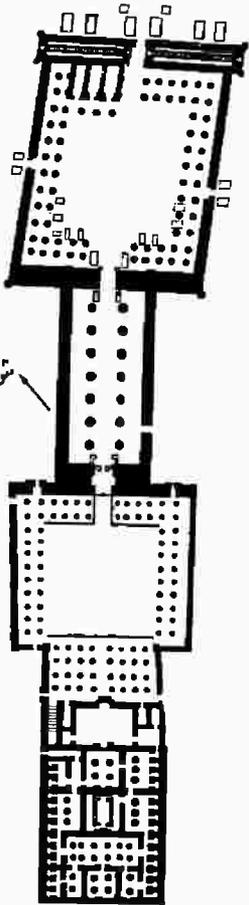
قام بهذا العمل العظيم مستشار الملكة ووزيرها . سمت Senmut الذى ربما استمد فكرة المسطحات التى يعلو أحدها الآخر من معبد الملك « منتوحتب » «أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة» الواقع في جنوب معبد الدير البحرى مباشرة (شكل ٦٠) . كما أقام لها « سمت » مسلتين باسمها في معبد الكرنك في طيبة (شكل ٧٠) .

وصلت طيبة إلى قمة مجدها في عهد الملك « أمنحتب الثالث » وكانت عبادة الإله آمون على نطاق واسع ، فشيد الملك معبداً في الأقصر للإله آمون وزوجته « موت Mut » وابنتهما «خنسو Khonso»^(١) (شكل ٧١) . وقد أضيفت له زيادات أخرى في عهد الملك « رمسيس الثانى » . ويعتبر هذا المعبد فخر العمارة المصرية في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما أنه يمثل التصميم الحديد

(١) إله محلى يمثل القمر . وكان يرسم على هيئة ولد صغير فوق رأسه علال ومن أعلاه القمر .



(شكل ٦٩) معبد الملكة حتشبسوت بالدير
البحري ، الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة



(شكل ٧٠) مسلة الملكة حتشبسوت الموجودة
حالياً بمعبد الكرنك بالأقصر، الأسرة الثامنة عشرة
- الدولة الحديثة



(شكل ٧١) معبد الأقصر الذي شيده الملك
أمنحتب الثالث في سنة ١٣٩٠ ق . م للإلهة
آمون ، مت ، خنسو - ويظهر بالجهة اليسرى
الفناء المكشوف والصرح اللذان أقامهما الملك
رعمسيس الثاني في سنة ١٢٦٠ ق . م



(شكل ٧٢) رسم تخطيطي لمعبد
الأقصر نقلا عن كتاب « ن .
دافز » . ش ٨٢ ، ٨٣ م .

للمعبد الذى ساد منذ النصف الثانى لعهد الأسرة الثامنة عشرة . وهو المعبد المستطيل الذى تقع أجزاؤه على محور واحد، وتميز أعمدة معبد الأقصر بحمال خطوطها وشكلها المستوحى من نبات البردى المتفتح أو المكتم . وبالرغم من جمال هذه الأعمدة الفخمة إلا أنه لا يمكن أن تقارن خطوطها ببساطة خطوط نصف الأعمدة المستوحاة من نبات البردى الموجودة فى معبد الملك «زوسر» .

تبارى الملوك المصريون فى تشييد معابد للآلهة للتقرب إليها كما قاموا بعمل زيادات فى المعابد المشيدة من عصور سابقة وخير مثال لذلك معبد الكرنك حيث ابتدئ فى تشييد أجزاء منه منذ عهد الدولة القديمة ، ثم استمر ملوك الدولة الحديثة فى إدخال إضافات عليه، واستمرت الإضافات حتى العصر الرومانى . حيث اشترك فى تشييده . من ملوك الدولة الحديثة «أمنتب الثالث - سبتي الأول - رمسيس الأول والثانى والثالث» كما أضاف إليه الأحباش والبطالسة زيادات أخرى . ومن كثرة هذه الإضافات أصبح معقداً يصعب تتبع هندسته . ولقد حاول كل ملك أن يتفوق بمشيداته عن سابقه، لذلك نلاحظ فيه اختلافاً من حيث المادة التى اختيرت فى كل عهد . وكذا من ناحية طابع وذوق المهندس الذى قام بالعمل .

وتصميم المعبد المصرى بصفة عامة اتخذ شكلاً يكاد يكون ثابتاً فى عهد الدولة الحديثة، ومن مظاهر ذلك اشتراك معبدي الأقصر والكرنك فى هذا الطراز الذى يشيد على مساحة مستطيلة . وتقوم مبانيه على محور واحد . (شكل ٧٢) ويتدنى من المحور بالمدخل الذى يحف به جداران عالبان بهما ميل خفيف . ويؤدى المدخل إلى فناء واسع مكشوف يحيط به رواق مسقوف ويحمل السقف أعمدة . « وقد كان هذا الجزء مخصصاً لعامة الشعب » . وفى مؤخرة الفناء من الناحية المواجهة للمدخل يوجد طريق صاعد يؤدى إلى بهو كبير مسقف ويعتمد السقف على عدد كبير من الأعمدة الشائخة . « ويخصص هذا الجزء للكهنة » وبطبيعة الحال كان الضوء لا يصل إليه بدرجة كافية .

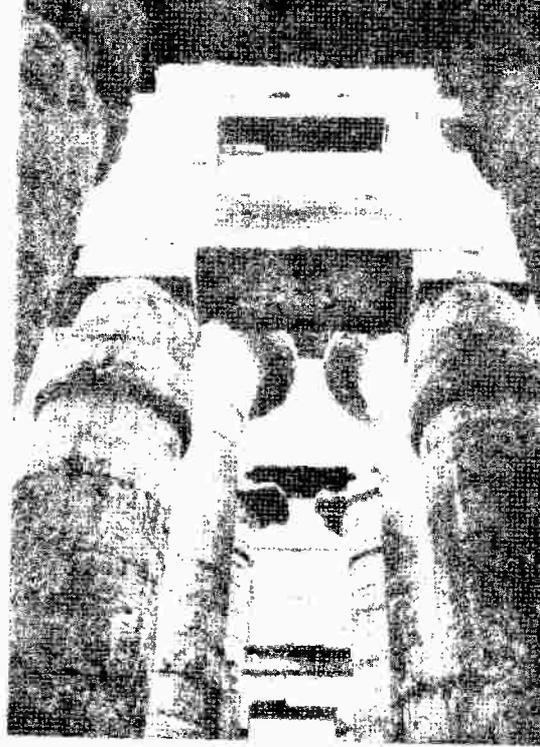
وكان الضوء يتضائل شيئاً فشيئاً كلما اتجه المرء إلى الداخل ويختفى تماماً

ويصير ظلاماً حالكاً في قدس الأقداس التي تقع في مؤخرة المعبد. وهي عبارة عن مقصورة مستطيلة يوضع فيها تمثال الإله أورمزه . وإذا كان المعبد لأكثر من إله كان يخصص لكل إله حجرة ، ويحيط بقدس الأقداس حجرات يوضع فيها ما يلزم لتأدية الطقوس الدينية ويحيط بالمعبد أسوار ضخمة من اللبن . وأمام الجدار الخارجي الذي يعرف « بالصرح » يوضع عادة تماثلان جالسان وآخران واقفان ومسلتان .

ابتدأ الملك سيبى في بناء بهو الأعمدة المغطى في معبد الكرنك (شكل ٧٣) وأتمه الملك رمسيس الثاني . لقد تمكن المهندس الفنان في عهد الأسرة التاسعة عشرة من إضاءة هذه القاعة المغطاة، ذلك يجعل الصفين الأوسطين من الأعمدة المقامة على المحور الأوسط أعلى قليلاً من أعمدة الصفوف الجانبية بحيث يسمح الفراغ الناتج من التباعد بين السقفين بترك فتحات للإضاءة والتهوية . وتمتاز العمارة في عهد الدولة التاسعة عشرة بالضخامة وتمثل في هذا البهو الذي يبلغ طوله أربعة وثمانين متراً وعرضه أربعة وخمسين متراً ، ولقد ساعد توفر الحجارة في مصر على أن يبالغ الفنان في استعمال الأعمدة الضخمة في هذا المعبد حيث يبلغ عددها ١٣٤ عموداً موزعة في ستة عشر صفاً ، وقطر العمود ثلاثة أمتار ونصف ، وشكل العمود مستوحى من نبات البردى وينتهي تارة بزهرة النبات مفتوحة في أعمدة المر الرئيسي وبالبرعم في الأعمدة الجانبية .

ومع أن الأعمدة المصرية بصفة عامة هي لإحدى تحف العمارة في الدولة الحديثة إلا أن الفنان في الأسرة التاسعة عشرة اعتمد في أعماله على تأثير الضخامة أكثر من اهتمامه بالتفاصيل . فيلاحظ أن جسم العمود المستوحى من نبات البردى صار أسطوانياً أملس لا يمثل حزم البردى ، كما أن شكل التاج على هيئة زهرة واحدة وليست مجموعة من براعم النبات ، كما شاهدنا في أعمدة الأسرة الثامنة عشرة في معبد الأقصر . وتظهر العناية بالتفاصيل في عهد الأسرة الثامنة عشرة في العمودين السامطين المنحوتين من الجرانيت اللذين أقامهما الملك تحتمس (شكل ٧٤) في معبد الكرنك وزخرفهما بنقوش جميلة لزهرة اللوتس وزهرة البردى كناية عن

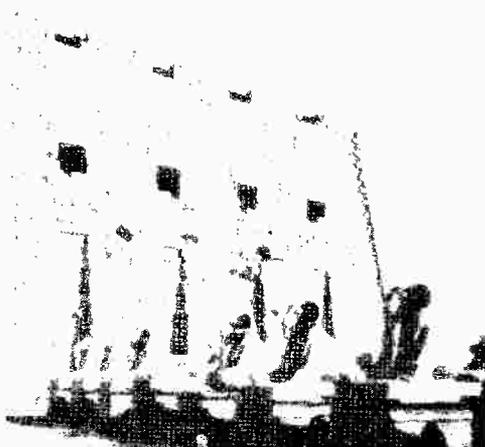
(شكل ٧٣) هو الأعمدة المغطى بمعبد الكرنك
شيد في عهد الملكين سبى الأول ورمسيس الثاني .
الأسرة الثامنة عشرة . الدولة الحديثة



(شكل ٧٤) الممران السامقان اللذان أقامهما
الملك تحتمس الثالث بمعبد الكرنك . الأسرة
الثامنة عشرة - الدولة الحديثة



(شكل ٧٥) طريق الكباش أقامه الملك
أمنحيب الثالث على جانبي الطريق الذي يصل
معبد الأقصر بمعبد الكرنك . الأسرة الثامنة



الوجهين القبلي والبحرى ، وكذلك فى الأعمدة المستوحاة من نبات البردى التى أقامها الملك أمنحتب الثالث فى معبد الأقصر . ولقد شاع استعمال العمود الختورى^(١) فى عهد الدولة الحديثة كما قل استعمال العمود النخيل .

وقد وصل الملك أمنحتب الثالث معبد الكرنك بعد أن شيد له بوابة ضخمة بمعبد الأقصر بطريق أقام على جانبه صفتين من تماثيل لها رسوم الأسود ورؤوس الكباش . (شكل ٧٥) .

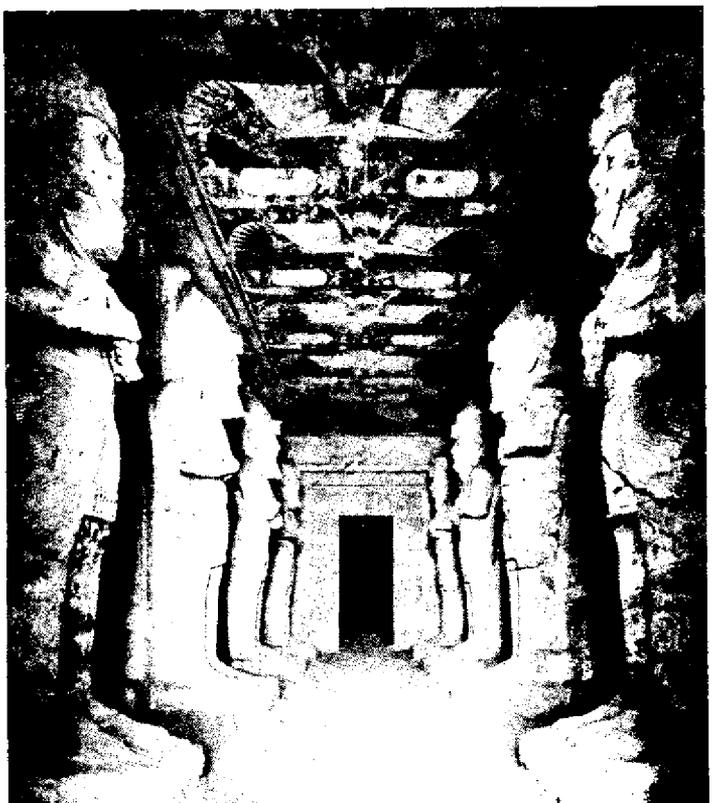
وتظهر ضخامة فن المعمار فى عهد الأسرة التاسعة عشرة فى معبد « أبى سنبل » الذى نحت فى عهد الملك « رمسيس الثانى » فى الجبل فى جهة قرية أبو سنبل جنوب أسوان (شكل ٧٦) . ولا يمكننا أن ننكر عظمة هذا المعبد الذى زينته واجهته بأربعة تماثيل جالسة متصلة بالصخر تمثل الملك . ويبلغ ارتفاع التمثال الواحد واحداً وعشرين متراً . كما تتميز الأعمدة الداخلية بشكلها آدمى (شكل ٧٧) ومع أن الملك رمسيس الثانى نسب إلى نفسه بعض الأعمال الفنية التى أنجزت فى عهد أسلافه إلا أنه كان بناءً عظيماً ، فبجانب الإضافات التى قام بها لمعابد الأسرة الثامنة عشرة أقام معبداً جنائزياً فى « الرامسيوم » على طراز المعابد ذات المحور الواحد .

وتعتبر معابد الأسرة العشرين خاتمة مباني الدولة الحديثة ولم يختلف طابع العمارة فى ذلك العهد كثيراً عنه فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، ومثال ذلك المعبد الجنائزى الذى أقامه الملك رمسيس الثالث فى مدينة « هابو Habu » كما أضاف معبداً فى الجهة اليمنى من معبد الكرنك .

النحت :

انتعشت أعمال النحت فى الدولة الحديثة بعد ما كان قد انتابها بعض الضعف أثناء فترة حكم الهكسوس لمصر . وبدأ الفنان يمارس قدرته الفنية التى

(١) هو عمود نقش على جانبيه فى أعلاه رأس الإلهة حتحور بوجه آدمى وأذنى بقرة .



(شكل ٧٦) معبد أبي سمبل المنحوت
في الجبل . قام بتشييده الملك رمسيس
الثاني ، وتظهر بالواجهة أربعة تماثيل
جالسة للملك . الأسرة الثامنة عشرة -
الدولة الحديثة

(شكل ٧٧) اندهليز الداخل الذي
يؤدي إلى قدس الأقداس معبد أبو سمبل

عرفت عنه في تماثيل الدولة القديمة وظهرت تماثيل ضخمة بجانب التماثيل ذات الحجم الطبيعي. كما أن عناية الفنان لم تعد مقصورة على الوجه فظهر اهتمامه بدراسة الأعضاء كالأيدي والأرجل. ويلاحظ ظهور تطور في طابع نحت التماثيل الملكية، فيبدو تعبير على الوجه. وليونة في الخطوط العامة ويعتبر هذا التغير مقدمة لفن النحت الذي يظهر بعد ذلك في فن العمارة. ومثال ذلك تمثال الملك «تحتس الثالث» المصنوع من حجر الشست الذي عثر عليه في الكرنك (شكل ٧٨). ويعتبر هذا التمثال قطعة فنية عظيمة وذلك لمقدرة الفنان في التعبير عن شبه ابتسامة هادئة تظهر على الوجه. ومع أن الفنان عبر عن شباب الملك في صورة جميلة بخطوط قوية إلا أن وجه الملك ينقصه طابع الهيبة والعظمة الذي عرف في تماثيل الدولة القديمة.

وتمتاز الفترة التالية من حكم الأسرة الثامنة عشرة بتطور كبير في نحت التماثيل الملكية حيث خرج المثال عن التقاليد القديمة المتبعة في نحت تماثيل الملوك وفضل تمثيلهم على سجيبتهم وطبيعتهم. وأحسن مثال لذلك مجموعة تماثيل الملك إخناتون (شكل ٧٩). وبدراسة هذا التمثال يلاحظ أنه لأول مرة في تاريخ نحت التماثيل الملكية تظهر تماثيل في شكل غير جميل تميزت بإطالة الوجه وكبر الرأس بالنسبة للعنق النحيل. كما تظهر الحرية الكاملة في التعبير عن الحقيقة في امتلاء البطن. وهذا التغير يعد حدثاً جديداً في التماثيل الملكية على نقيض ما كان متبعاً في تماثيل الدولة القديمة التي اتسمت بالقوة والهيبة بجانب التعبير عن الكمال الجسماني. والظاهر أن الملك كان يشجع الفنانين على هذا التطور حيث سجل في أحد النقوش أنه كان يزور مرسم المثال^(١). ويبدو أن هذا التمثال كان ملوناً فقد وجدت به آثار ألوان كما يلاحظ أن الملك إخناتون يظهر مرتدياً تاج الوجهين القبلي والبحري.

ويظهر تأثير فن العمارة في رأس الملكة نفرتيتي «زوجة الملك إخناتون» الموجودة في المتحف المصري (شكل ٨٠) وتمتاز هذه الرأس بدقة الملامح وليونة في

(١) ذكر «بك» رئيس المثالين أن الملك كان يعلمه.

(شكل ٧٨) تمثال الملك «تحتمس الثالث». «صنع من حجر الشست»
الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة
« المتحف المصرى بالقاهرة »



(شكل ٧٩) أمنتحتب الرابع « إخناتون »
عثر عليه في معبد الإله آتون
١٣٦٥ ق.م « المتحف المصرى
بالقاهرة »



(شكل ٨٠) رأس من الحجر يصور الملكة نفرتيتى
١٣٦٥ ق.م الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة « المتحف
بالقاهرة »



(شكل ٨١) رأس من الحجر الجيري الملون خاص بالملكة
سرتدية تاجاً ١٣٦٥ ق.م « متحف دالم بربلين »

الخطوط كما أن المتأمل في الرأس الملوثة الموجودة في متحف برلين (شكل ٨١) يشعر بما يسرى في الوجه من حيوية وجمال أشوى عبر عنه الفنان دون الحاجة إلى التخلف الكلاسيكي المعروف في تماثيل الدولة القديمة للتعبير عن مركز الملكة .

وبانقضاء ثورة إخناتون الدينية والرجوع إلى عبادة آمون في طيبة ، رجع طابع الفن إلى التقاليد السابقة واستأنف الفنان الطراز الفني الذى عرف من قبل . إلا أنه لم يتخل تماماً عن طابع الوجه المعبرة الجميلة ويتجلى ذلك في آثار الملك توت عنخ آمون الذى عبر فيها الفنان عن شباب الملك الذى توفى صغيراً ويتضح ذلك من تمثال الملك الحشبي الموجود بمتحف القاهرة (شكل ٨٢) .

ويستمر تأثير مدرسة العمارة في بعض تماثيل الأسرة التاسعة عشرة ويبدو ذلك واضحاً من التعبير الموجود على وجه الملك رمسيس الثانى (شكل ٨٣) وتدل صناعة هذا التمثال على يد فنان بارع أكسب الحجر الصلد طبيعة الحياة حيث نجح في التعبير عن ثنيات زى الملك الرقيق مما يدل على عناية فائقة . كما يمتاز هذا التمثال بجمال في النسب والخطوط .

ظهرت في الدولة الحديثة تماثيل ضخمة في مواقع المعابد لا يمكن الاعتماد عليها في الحكم على فن النحت في هذه الفترة . وكان العرض من صنعها أن تتسق مع العمارة الضخمة التي ترتبط بها ليتناسب حجمها مع حجم المعابد المشيدة في هذه الفترة ، ومثال ذلك تمثالاً ممنون^(١) الموجودان في سهل طيبة (شكل ٨٤) وربما يمثل هذان التمثالان الملك أمنحتب الثالث^(٢) — وقد نحتا لوضعهما أمام

(١) أطلق الإغريق هذا الاسم على التماثيل وطن الرومان أنه يمثل ، ممنون بن ايرس « إله القمر ويقال إن أحدهما كان ينبعث منه أصوات غريبة كل صباح .

(٢) يوجد بالمتحف المصرى تمثالان بالحجم الطبيعي للملك أمنحتب الثالث وزوجته في وتعتبر هذه المجموعة أكبر مجموعة تماثيل معروضة في المتحف المصرى .



شكل (٨٢) تمثال الملك توت عنخ
بن من الخشب الملون ١٣٦٠ ق. م.
متحف المصري بالقاهرة «



شكل (٨٣) تمثال الملك رمسيس
عثر عليه في معبد الكرنك
بمدينة طيبة الحديثة .
الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة
متحف مدينة تورينو بإيطاليا «

شكل (٨٤) تمثالا «ممنون» ويمثلان
«أمنحتب الثالث» ولقد صنعا
بمدينة طيبة الحديثة .
الأسرة الثامنة عشرة - الدولة
الحديثة

مدخل المعبد الجنائزى الذى اندثر الآن ولا أثر لوجوده . ويبلغ ارتفاع كل منهما حوالى عشرين متراً .

ومن التماثيل الضخمة التى أقامها الملك رمسيس الثانى لتناسب ضخامة العمارة فى عهده . التماثيل الأربعة المنحوتة فى الصخر فى واجهة معبده بأبى سنبل (شكل ٧٦) ، وكذلك تماثله المصنوع من الجرانيت الذى يبلغ ارتفاعه ١٧ر٥ متر وهو موجود فى معبد الرامسيوم .

النقوش البارزة :

تزين جدران معابد الدولة الحديثة عادة نقوش بارزة تصور مواضيع مختلفة . فعلى الجدار الخارجى وبالصحن المكشوف المخصص للشعب تسجل قصص انتصارات الملوك ومكاسبهم التجارية والحربية لتخلد ذكراهم . أما فى الجزء الخاص بالكهنة، فتوجد به المواضيع الدينية التى تصور الاحتفالات والطقوس الدينية التى يقوم بها الكهنة .

ولعل أهم ما سجل على جدران معبد الدير البحرى الأحداث التى تسجل ازدهار التجارة فى عهد الملكة حتشبسوت، فزرى نقوشاً تصور البعثات التجارية التى أرسلتها الملكة إلى البلاد المجاورة . ولقد أبدع الفنان فى توضيح البعثة التجارية إلى بلاد بنت^(١) وأجاد التعبير عن وصف سكانها ومساكنهم ونباتهم وحيواناتهم وأسمائهم . كما تفوق أيضاً فى تسجيل الخصائص الذاتية للملكة بنت (شكل ٨٥) التى يتثنى جسمها من ثقل ما يحمله من لحم وشحم . ومن المواضيع الدينية نقش الفنان فى مهارة وإتقان قصة ولادة الملكة حتشبسوت من الإله « آمون رع » .

وكان أغلب الملوك يسجلون قصة نسبهم للإله آمون . فمن النقوش الطريفة الموجودة على جدران إحدى القاعات الداخلية لمعبد الأقصر قصة توضح نسب

(١) لم يتضح للآن ماذا كان يقصد « بلاد بنت » ويظن بعض الكتاب أنها بلاد الصومال .

الملك أمنحتب الثالث للإله آمون فرى نقشا يحكى قصة زواج الإله آمون «بالإلهة مت» بحضور الآلهة كلها وتنتهى القصة الطويلة بصورة الطفل المولود يرضع من التسع بقرات المقدسة «حتحور» وتسمى هذه القاعة بحجرة الولادة .

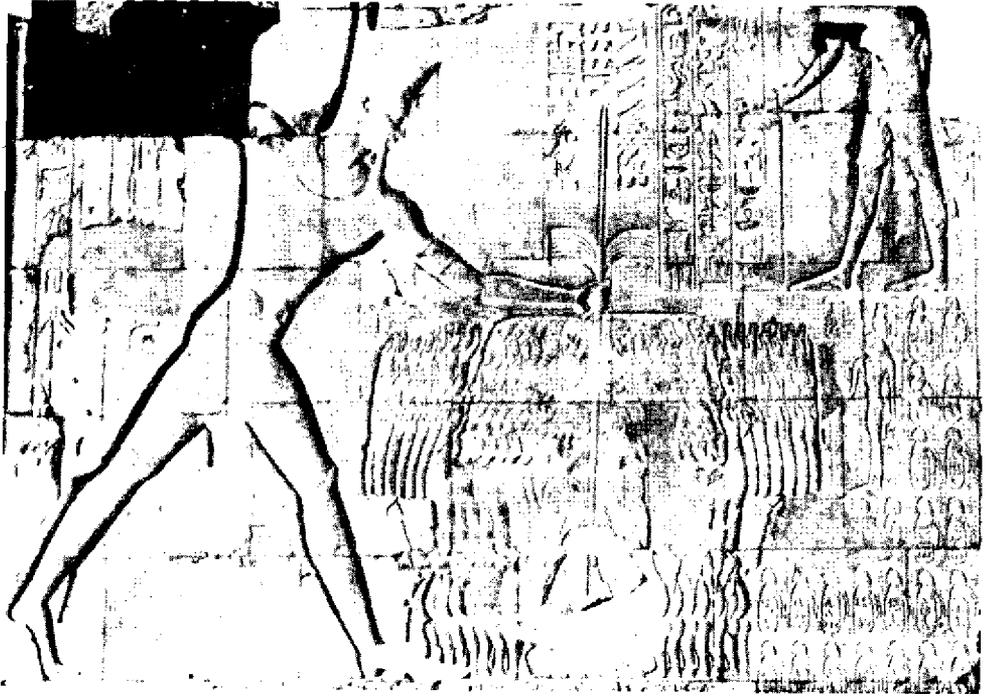
وتأخذ الانتصارات الحربية أحياناً صبغة الرمز فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة وهذا واضح فى صورة الملك «تحتمس الثالث» الموجودة على جدران معبده فى الكرنك . فزراه ممسكاً برؤوس أعدائه الآسيويين بيد بينما يهوى «بمقموعة» يحملها فى اليد الأخرى على رءوسهم (شكل ٨٦) وتدل هذه الوحدة على استمرار طابع الفن المصرى منذ عهد الأسرة الأولى (شكل ١١٣) .

وقد امتاز عهد أخناتون بثورة فنية صاحبت الثورة الدينية وتشمل هذه الثورة الفنية أسلوب النحت البارز كما شملت النحت الكامل فتمثل الحقيقة وحدها وبيالغ فيها على أوسع نطاق كما يصاحب هذا العهد تغير شامل فى اختيار المواضيع التى تزين جدران المشيدات الملكية . فى العمارنة عثر على دراسات كثيرة للملك وأفراد عائلته تصورهم فى حياتهم الخاصة فى أوضاع طبيعية لم تكن متيسرة قبل ذلك فرى فى لوحة منقوشة نقشاً دقيقاً الملك والملكة يدلان أولادهما وتربط الأشعة الممتدة من قرص الشمس (آتون) بينهما (شكل ٨٧) .

ومن المواضيع الواقعية التى تصور أفراد الملك إخناتون فى جلسات طبيعية ، صورة ابنة الملك «إخناتون» جالسة على الأرض تأكل بطة ببساطة قد لا تتفق مع الوقار التقليدى الملكى (شكل ٨٨) . وهنا نلاحظ صراحة الفنان وحرية فى الخطوط المعبرة عن ثانيا جسد الفتاة .

وتختلف المواضيع المنقوشة على جدران قبور نبلاء الدولة الحديثة عن المواضيع المنقوشة على جدران المعابد . ويمثل أغلبها الأحداث الهامة فى حياة صاحب المقبرة . ومن أحسن مقابر الدولة الثامنة عشرة مقبرة النبيل «رعومزى Ramose» الذى كان يشغل منصب وزير الدولة فى عهد الملكين أمنحتب الثالث والرابع

بارز وجد على جدران معبد الملكة
حشيشوت بالدوير البحرى ١٤٨٠ ق.م



(شكل ٨٦) الملك تحتمس الثالث
منتصراً على أعدائه الآسيويين. نقش وجد
على جدار الصرح الذى أقامه فى الكرنك



(شكل ٨٧) الملك إخناتون مع العائلة.
نقش على لوحة حجرية عثر عليها بثل
الهاينة ١٣٦٥ ق.م - الأسرة الثامنة
عشر - الملكة الملكة « المتحفة »

١٣٦٥ ق. م. الأسرة الثامنة عشرة - الدولة
الجديدة - «التحف المصري بالقاهرة»



(شكل ١٩) نقش على جدار مقبرة النيل
«رعموزى» بطيبة. ويظهر شقيق النيل مع زوجته.
١٣٧٥ ق. م. الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الجديدة



«أخناتون» - ونجد في نقوشها مظهر الجمع بين أسلوبى العهدين ، بين الأسلوب السائد فى عهد أمنحتب الثالث الذى امتاز بخطوط لينة جميلة ، وبين أسلوب مدرسة العمارة الذى امتاز بالواقعية والصرحة .

ومن الأسلوب الذى يتميز بجمال الخطوط ولينتها نقوش الحفلة التى أقيمت بمناسبة عودة ابن صاحب المقبرة من سفر بعيد (شكل ٨٩) . وتوضح الخطوط رقة الملامح وجمالها ، كما يبدو على وجوه عائلة النبيل جمال الشباب المتلى حيوية وقوة تعبير . وتشهد هذه النقوش على مظاهر البراء التى سادت ذلك العصر حيث زاد اهتمام الفنان بتسجيل الأشياء الدقيقة فى زينة السيدات . فتظهر الحلى المتنوعة من أقراط وأساور وعقود . وكذلك الشعور المستعارة الفخمة . كما تسجل بدقة الثياب الدقيقة فى ملابسهن القضاضاة التى تشير إلى البذخ .

وقد يسجل الفنان فى بعض الأحيان نقوشاً لأفراد أسرة الملك على جدران مقابر النبلاء ، مثال ذلك صورة بنات الملك « أمنحتب الثالث » واقفات يسكنن الماء المقدس فى احتفال دينى (شكل ٩٠) المنقوشة على جدار مقبرة الأمير « خرويف Kheruef » .

وجمال الخطوط فى هذه الفترة لا يدانيه أى فن فى العالم ... وتشهد بذلك مقبرة الملك « حور محب » ... التى جمعت نقوشها بين جمال الخطوط السائد فى عهد الملك « أمنحتب الثالث » وواقعية أسلوب مدرسة العمارة . ففى فى أحد المناظر (شكل ٩١) العمال يجاهدون فى حمل قطعة ثقيلة من الحجر بحركات طبيعية «عبء لم يكن من السهل التنكير فيها قبل ذلك ... كذلك نلاحظ العناية الزائدة فى تسجيل ثياب الرى الذى كان سائداً فى تلك الفترة . ولقد أدرك الفنان فى هذه الصورة قواعد المنظر من بعد ومن قرب فلا يشارك الأشخاص كلهم فى خط « أرضية » واحد .

وبفضل اتساع الإمبراطورية فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أدخل على النقوش مواضيع جديدة ، لم يطرقتها الفنان فى العهود القديمة . فننتشر صور المعارك الحربية ، وتشغل مساحات كبيرة على جدران المعابد الخارجية . فنشاهد

(شكل ٩٠) من مقبرة النبييل
خيرويف بطيبة . نقش على الجدار
الحجري يصور بنات الملك أمحطب
الثالث يحملن أواني تشتمل في الحفلات
الدينية . الأسرة الثامنة عشرة - الدولة
الحديثة .



(شكل ٩١) نقش على جدار حجري
من مقبرة الملك حور محب ١٣٥٥ ق.م
وتظهر فيه طريقة نقل قطعة من الخشب.
الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة
« متحف مدينة بولونيا بإيطاليا »



(شكل ٩٢) « الملك رمسيس الثاني
منتصراً في معركة قادش » نقش على
جدار صرح معبد الراسيوم بطيبة
١٢٦٠ ق.م الأسرة الثامنة عشرة -

على جدران معبد الكرنك مناظر تسجل انتصار الملك « سبتي الأول » على الليبيين ، و انتصار الملك « رمسيس الثاني » على « الحيثيين » .

ويعنى الفنان بتوضيح تفاصيل مناظر القتال ، كما يغالى أحياناً في تسجيل الحركات المختلفة . ويشاهد ذلك واضحاً في النقوش الموجودة على واجهة « معبد الرامسيوم » (شكل ٩٢) التى تسجل انتصار الملك « رمسيس الثاني » على ملك حلب فى معركة « قادش » . فيلاحظ ما أحدثه القتال من اضطرابات بين الجنود الذين لا يزال بعضهم يقاوم فى النهر بين جثث الغرقى . وتتميز نقوش هذا العهد باستعمال الحصان فى جر العربات الحربية . فترى الملك « رمسيس » راكباً عربته يجرها حصانان . ولم يكن ذلك معروفاً فى عهد الدولتين القديمة والمتوسطة . ويقال إن الهكسوس هم الذين أدخلوا استعمال الحصان فى مصر لجر العربات الحربية .

يستمر ظهور المناظر الحربية فوق جدران المعابد فى عهد الأسرة العشرين حيث سجل الملك « رمسيس الثالث » فوق جدران معبده صوراً لانتصاره على شعوب البحر المغيرة على مصب النيل . كما أننا نشاهد له نقوشاً أخرى تصوره وهو يمارس هواية الصيد المحببة لدى الملوك ، فنراه يصطاد الثيران البرية فى الأحراش (شكل ٩٣) . وتعتبر هذه الصورة من أجمل النقوش التى تمتاز بالواقعية حيث تمكن الفنان من تسجيل بعض التفاصيل الدقيقة التى تصبغ الموضوع بطابع الحيوية ، كصورة الثور الواقع فى الأحراش ، والثور الذى يجرى بكل قوته للهرب من الملك الذى أوشتك على صيده . ولقد أبرز الفنان الرعب والتعب الظاهرين على وجه الثور ولسانه المدلى من شدة الجهد . وتتميز نقوش هذا المنظر بخطوط عميقة الغور .

التصوير :

انتشر فن التصوير الجدارى بكثرة فى عهد الدولة الحديثة ، وحلت التصاوير الجدارية الملونة محل النقوش البارزة الملونة فى زخرفة جدران المقابر ،



(شكل ٩٣) « الملك رمسيس الثالث يصطاد
المعجول البرية » نقش على واجهة صرح المعبد
الجنازى بمدينة « هابو » بطيبة

(شكل ٩٤) وقد حامل الهدايا من جزيرة
كريت - تصوير جدارى ملون من مقبرة النيل
سنمة . ويلاحظ الاهتمام بتوضيح الزى الخاص
بأهل الجزيرة كذلك الوحدات المنقوشة على الأواني
الفضية - ١٤٨٥ ق.م



(شكل ٩٥) تصوير جدارى
من تل العمارنة يصور اثنين من
بنات الملك إختاتون ١٣٦٥
ق . م - « متحف أشموليان
بأكسفورد »

[لوحة رقم ٣]

كرسى الملك « توت عنخ آمون » عثر عليه
في مقبرته بطيبة - ١٣٦٠ ق.م. الأسرة
الثامنة عشرة - الدولة الحديثة ، ويلاحظ
أن الكرسى مصنوع من الذهب ومرصع
بأحجار ملونة شبه كريمة - « المتحف
المصرى بالقاهرة » .





[لوحة رقم ٤]



من زجاجية ملونة مختلفة الأشكال والألوان عثر عليها في سقارة ، الأسرة الثامنة عشرة . حالياً في مجموعة خاصة
حف بركلين .

وأحسنها ما وجد في مقابر النبلاء لافي المقابر الملكية . وذلك لاحتوائها على مواضيع مختلفة من حياة صاحب المقبرة، مما أعطى الفنان ثروة كبيرة من المواضيع المختلفة، غطى بها جدران المقبرة وسقفها في بعض الأحيان . وكانت مناظر الحياة اليومية تسجل على جدران المقبرة القريبة من المدخل . أما المناظر الخنازيرية فتوجد على جدران المقبرة الداخلية .

وصلت مصر في ذلك العهد إلى قمة مجدها السياسي . وتقرب لها ملوك البلاد المجاورة بتقديم الهدايا الملوكها . مما ساعد الفنان على اختيار مواضيع جديدة في تزيين الجدران . ومن هذه المناظر ما عثر عليه في مقبرة الأمير « سمنت » — « مستشار الملكة حتشبسوت » — حيث نرى الوفود الأجنبية المحملة بالهدايا (شكل ٩٤) . ويلاحظ دقة الفنان في رسم الوحدات الحيوانية المنقوشة التي تزخرف الأواني الفضية المقدمة من وفد « كريت » .

ومن الملاحظ أن أسلوب التصوير في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة كان يقتصر على الاهتمام بالخط الخارجي، وتملاً بعد ذلك المساحات بالألوان، ولم يكن هناك اهتمام بتوضيح الضوء والظل . ولكن ذلك تغير في عهد «العمارة» للتطور الفني الذي تميز بالواقعية . فعثر في « تل العمارة » على جدار به صورة ملونة لاثنتين من بنات الملك « أختاتون » جالستين على حشية في وضع طبيعي (شكل ٩٥) .

ومن مجموعة صور « العمارة نستدل على أن الفنان قد زاد ميله للمناظر الطبيعية كما اهتم بتسجيل دقائق النباتات والحيوانات كموضوع مستقل . حيث عثر على ثلاثة جدران بالقصر الملكي مغطاة بمنظر واحد مجرى مائي ، ينمو فيه نبات البردى واللوتس . ويقف فوق النبات أنواع مختلفة من الطيور^(١) . كما أنه عثر على جدار به صورة لبحيرة تحيط بها الأزهار وتحوم حولها الطيور .

ومن المؤكد أنه كانت توجد تأثيرات فنية بين مصر وجزيرة كريت في ذلك

(١) عثر على هذه المجموعة الأستاذ « بى » .

العهد ، وذلك لوجود علاقات تجارية بينهما . حيث وجد على جدران قصر ملك « كنوسس Knossus » - عاصمة كريت - صور ملونة ، تأثرت وحداتها بالفن المصرى . كما تأثر الفنان المصرى فى نقوش سقف مقبرة من مقابر الأسرة الثانية عشرة لطيبة (شكل ٩٦) بالوحدات الأجنبية التى شاهدناها محفورة على الأواني الفضية المهداة من وفد كريت (شكل ٩٤) . ويظهر التأثير المصرى مرة أخرى فى الصور الموجودة بالمقابر الملكية (شكل ٩٧) بمدينة « مسينا » ، فنلاحظ أنها مقتبسة من وحدات موجودة فى مناظر الصيد المصرية (شكل ٩٨) ولقد بلغ الترف غاية . وعم أكثر طبقات الشعب فى عهد الدولة الحديثة ، وخصوصاً طبقة النبلاء وكبار رجال الدولة ، وكان لانتشار الرخاء أثره فى الفن المصرى . فتكررت مناظر الحفلات على جدران مقابر النبلاء . وظهرت فيها السيدات بملابس فاخرة ذات ثنيات عديدة يتمتعن بمشاهدة الرقص وسماع الغناء .

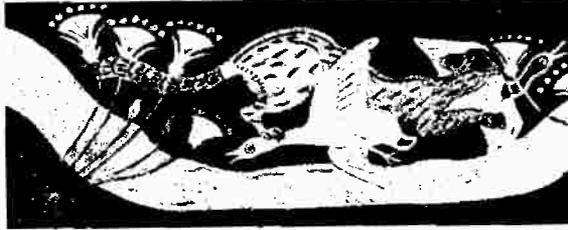
وتعتبر مقبرة النبيل « نخت » الذى كان يشغل منصب كاهن للإله آمون فى أواخر عهد الدولة الثامنة عشرة خير مثال لدراسة هذه الحفلات المصورة ، فن منظر حفلة فى قصر الأمير نرى فى جزء منها صورة لفرقة موسيقية مكونة من راقصة وعازفتين يحملان أدوات موسيقية (شكل ٩٩) وكان من المتبع فى ذلك العهد رسم الراقصات والفتيات الصغيرات عرايا . ويلاحظ فى هذه الصورة تحرر الفنان من التقاليد المعروفة فى رسم الجزء الأسفل للأشخاص من الناحية الجانبية . فصور الراقصة فى وضع شبه أمامى ، مما لم يكن متيسراً من قبل . كما نلاحظ أن الفنان رسم أجسام العازفات من خلال الثياب الشفافة ، ويتضح التحرر من تقاليد الفن القديم وتأثير « العمارة » فى تسجيل تفاصيل لم تكن تظهر من قبل كرسم بطن قدم إحدى العازفات علاوة على تصويرها فى وضع أمامى كامل على جدران إحدى مقابر ذلك العصر (لوحة ملونة ١) .

ولم تقتصر مقبرة « نخت » على مناظر الحفلات بل تظهر فيها صور توضيح هواياته . وأهمها صيد الطيور والأسماك (لوحة ملونة ٢) فيظهر الأمير مرسوماً



(شكل ٩٦) زخارف ملونة لوحات من « رويس
ثران » عثر عليها في سقف مقبرة من الأسرة الثامنة
عشرة ببطية

(شكل ٩٧) « قط يهاجم طائرًا ليفترسه بفضه
بينما هو واقف على طائر آخر » تصوير جداري عثر
عليه في أحد المقابر الملكية بمدينة « متينا »

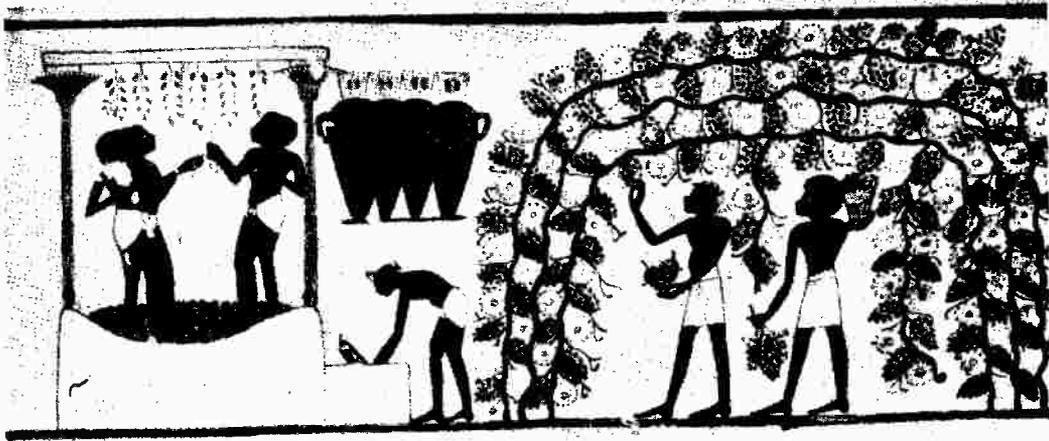


(شكل ٩٨) تصوير
جداري من مدرة ن -
غير معروف ص -
عهد الملك أمنمحتب الثالث
ويلاحظ وجود امته -
ينقص على طائر دمه
وتلمس أرجله طائرًا آخر
بينما يظهر نبات لردى النامى
في الماء. المتحف ب - بطنى





(شكل ٩٩) فرقة موسيقية مكونة من
ثلاث فتيات - جزء من تصوير جداري
بمقبرة النبيل « نخت » بطيبة . الأمانة
الثامنة عشرة - الدولة الحديثة



(شكل ١٠٠) « مراحل تحضير النبيذ » تصوير
جداري ملون من مقبرة الأمير « نخت » بطيبة



(شكل ١٠١) « النساء الباقيات » تصوير
جداري ملون من مقبرة الأمير « رعوموزي » بطيبة

مرتين : واقفًا مع أفراد أسرته في قارب من سيقان البوص . وقد استخدم الفنان نبات البردى النامي على حافة مجرى مائى . كخلفية للصورة فنراه في الجهة اليسرى يحمل « بومرانجًا »^(١) . ودمطرًا^(٢) ليصطاد بهما الطيور . ومرة أخرى في الجهة اليمنى يصطاد السمك . ويتضح اهتمام الفنان بدراسة الطبيعة في رسمه حشرة السرمان والقراشة اللتين تحومان بين النبات . وكذلك الزهور والأسماك الموجودة في المياه التي رسمها على هيئة خطوط متعرجة . كما يظهر حبه لمحاكاة الطبيعة في رسم الطيور المدعورة من موكب الصيد :

ومن صور العامة التي تظهر بالمقبرة . نجد صورة توضح المراحل المختلفة التي تمر بها صناعة النبيذ وتعبئته (شكل ١٠٠) . فنراه يقطفون العنب . ثم يعصرونه بأرجلهم . ويسيل العصير من صنوبر إلى حوض صغير ثم يعبأ في الجرار .

وكانت مناظر البكاء على الميت تسجل بتفاصيلها المختلفة من حركة ومشاعر فنشاهد من مقبرة النيبيل « رعموزى » صورة لمجموعة من النساء الباقيات بوجوه حزينة يرفعن أذرعهن في الفضاء (شكل ١٠١) . وقد تغيرت مواضيع المناظر التي تغطي مقابر النبلاء منذ أواخر عصر الدولة التاسعة عشرة . فقلت المناظر التي تمثل حياة صاحب المقبرة وكثرت المواضيع الدينية .

الفنون التطبيقية :

كان للثراء أثره في المصنوعات الدقيقة ، وبدل على ذلك الآثار التي عثر عليها المتقنون في مقابر الدولة الحديثة . وتكون مجموعة الآثار التي عثر عليها في مقبرة الملك « توت عنخ آمون » أحسن مثل لدراسة هذا النوع من الفنون حيث وجدت المقبرة سليمة لم يمسهها اللصوص بعكس المقابر الملكية الأخرى .

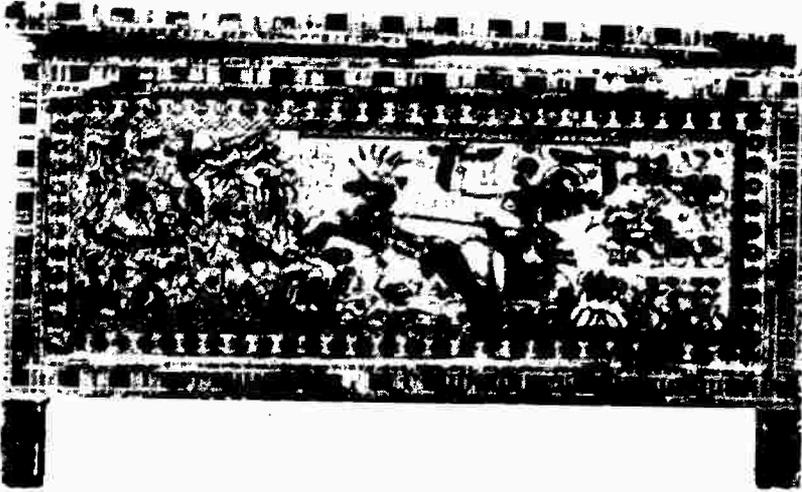
(١) أداتان تستعملان لإصابة الطيور عند صيدها .

(٢) دمية على شكل طائر يحملها الصياد لتجمع حولها الطيور

(شكل ١٠٢) قناع الملك « توت عنخ آمون »
مصنوع من الذهب ومطعم بالأحجار نصف
الكريمة « المتحف المصري بالقاهرة »



(شكل ١٠٣) إناء من الأليستر مشكل على
هيئة رهرة اللوتس المتفتحة والأيدى على شكل
البراعم . وجد في مقبرة الملك « توت عنخ آمون »
« المتحف المصري بالقاهرة »



(شكل ١٠٤) صندوق
الخشب ربه مناظر ملونة
ورد الملك « توت عنخ
آمون » في ميدان القتال .
« المتحف المصري بالقاهرة »

(شكل ١٠٥) علب خشبية لوضع مساحيق
الزينة على شكل بطء واليد على هيئة فتاة تسبح .
الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة « المتحف
المصري بالقاهرة »



ومن آثار هذا التراث كرسى الملك الموشى بالذهب . وتصور نقوشه المحفورة الملك جالساً على سجيته . ومن أمامه الملكة تعطره (لوحة ملونة ٣) ويظهر في جلسة الملك الطبيعية البعيدة عن طابع الجمود الملكي تأثير مدرسة « العمارة » وتدل صناعة قناع الملك وتابوته الذهبي المطعمين بأحجار ملونة (شكل ١٠٢) على ذوق رفيع ، ودقة في الصنع . وضعت فنان ذلك العصر في مرتبة يستطيع أن يفخر بها . ولقد تقدمت صناعة الأواني الحجرية في ذلك العهد فلاحظ ان الفنان استوحى نبات زهرة اللوتس المتفتح والمكتم في عمل آنية من الألبستر عثر عليها في مقبرة الملك توت عنخ آمون ثم عن ذوق فني رفيع (شكل ١٠٣) . ولقد بلغت مهارته القمة في الصندوق الخشبي المزخرف بمناظر صيد السباع وحيوانات الصحراء من جهة . وحروب الملك مع الأسويين والنوبيين من الجهة الأخرى . (شكل ١٠٤) وبالرغم من صغر المساحة التي رسم عليها الفنان صورته نجد أنه أجاد توضيح حماس الصيد الممتلئ حيوية ، ومعبرة القتال المليئة بالحركة . ولقد زخرفت العلب الخشبية المستعملة لمساحيق الزينة في ذلك العصر . فزرى إحدى هذه العلب منحوتة على شكل بطة عائمة تحملها فتاة ساجدة على يديها (شكل ١٠٥) ويرجع تاريخ هذه العلبة إلى الأسرة الثامنة عشرة .

ولا يسعنا إغفال التقدم الفني العظيم الذي ظهر في صناعة الأواني الزجاجية الملونة في تلك الفترة . ويشهد على ذلك أواني متعددة الألوان والأشكال [لوحة ملونة ٤] .

الفصل الخامس

العصور المتأخرة من الأسرة (٢٢ إلى الأسرة ٣٠)

٩٥٠ ق . م . - ٣٤١ ق . م .

ويتخلله (العهد الصاوى - الأسرة السادسة والعشرون)

تمهيد تاريخي :

كان من أثر الفوضى التي سادت البلاد نتيجة لضعف ملوك الرمامسة أن توالى على الحكم عهود معقدة غير واضحة تخللها حكم أجنبي للبلاد فتناوب الليبيون والأحباش حكم مصر في فترة الأسرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين .

ومكنت هذه الفوضى الآشوريين من غزو مصر في سنة ٦٧١ ق . م . وتقدم الملك « آشور بانيبال » إلى طيبة وسلبها ورجع بعد ذلك إلى الشمال وترك الجنوب لحكم الأحباش . ولكن (بسمتيك) الأول « أحد أمراء سايس » تمكن من طرد الغزاة والاستقلال بحكم مصر في سنة ٦٦٣ ق . م . وأسس الأسرة السادسة والعشرين . واسترجع سوريا وأعاد لمصر مجدها القديم ، حاول ابنه « نكاو Nechau » أن يتوسع في فلسطين وقتل ملك يهودا في معركة « مقديشو » ولكن أعلامه باستعادة مجد مصر وإنشاء إمبراطورية كبيرة تمتد إلى حدود بلاد النهرين تبذرت بظهور قوة بابل تحت حكم الملك نبو خد نصر .

يزول حكم الأسرة السادسة والعشرين بغزو الفرس لمصر في عهد الملك الفارسي « قمبيز » وذلك في سنة ٥٢٥ ق . م . ويستمر حكم الفرس لمصر لمدة قرن ونصف تتخللها فترات استقلال قصيرة ويحكم مصر خلال هذه الفترة الأسرات السابعة والعشرون والثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون . ثم يتمكن بعد ذلك الملك « نكتانبو Nectanbo » من ملوك الأسرة الثلاثين من طرد الغزاة

والاستقلال بحكم مصر في سنة ٣٧٥ ق . م لكن الفرس عادوا ثانية للسيطرة على مصر وحينذاك ومنذ ذلك الحين لم يحكم مصر ملك من أصل مصرى حيث غزا الإسكندر المقدونى مصر سنة ٣٣٢ ق . م وكان ذلك خاتمة العهد المصرى العظيم .

بضعف الفن المصرى بانتهاء حكم ملوك الأسرة العشرين ، ولو أن تأثير فنون « طيبة » يستمر ظهوره لفترة بسيطة في آثار الأسرة الحادية والعشرين بعد انتقال مركز الحكم إلى الشمال . إلا أنه في الفترة ما بين عهد الأسرة الثانية والعشرين والحامسة والعشرين يزول هذا التأثير ويعود الفنان إلى أسلوب الدولة القديمة وتتهياً البلاد للفن « الصاوى » الذى يظهر في عهد الأسرة السادسة والعشرين . ويمثل الفن « الصاوى » آخر مراحل الفن المصرى العظيم .

العمارة :

لم يبق للأسف أثر للمعابد التى قال « هيرودوت » إنه رآها في عهد الأسرة السادسة والعشرين ولكن يمكن أن نكون فكرة عن هذه المعابد فيما بقى من معابد الأسرة الثلاثين ومعابد البطالسة التى لا تزال قائمة والتي هى بدون شك استمرار لتلك المعابد .

النحت والنقوش البارزة والفنون التطبيقية :

لم يعثر على تماثيل كثيرة من العهد الصاوى ، ومن الأمثلة القليلة الموجودة (شكل ١٠٦) يلاحظ أن أسلوب النحت الصاوى طغت عليه طريقة تقليد فنون الدولة القديمة . لكن فنان ذلك العهد الذى رأى تماثيل الدولة القديمة وافتن بها أراد إظهار الزى والحركات ولذلك لم يصل تقليده إلى الدقة التى امتازت بها تماثيل الدولة القديمة . ولم يكنف بالأحجار الجيرية بل أكثر من استعمال حجر البازات مما ساعد على إظهار الكتل والسطوح فى التماثيل المصقولة ، ويظهر الاهتمام بتسجيل ملامح الوجه بدقة فى تماثيل من البازات (شكل ١٠٧)



(شكل ١٠٧) تمثال الكاهن
« بديامينوتب » العهد الصاوي
« متحف برلين »



(شكل ١٠٨) قطعة من
البرونز - العهد الصاوي « المتحف
البرونزي »



استوحى الفنان في تصميمه الكتلة الحجرية المكعبة وقد كان ذلك شائعاً في التماثيل الجالسة في عهد الدولة القديمة .

أما النقوش البارزة في المرحلة الصاوية فلم يكن لها طابع مميز بل كانت تقليداً لنقوش الدولة القديمة مع تسجيل ما بها من التفاصيل الدقيقة . ومن الصناعات الدقيقة التي صنعت في هذه الفترة عثر على أوان معدنية تدل صناعتها على بساطة جميلة في خطوطها . كما عثر على تماثيل برنزبة لبعض الحيوانات (شكل ١٠٨) .

. وتميز آثار هذه الفترة بتوابيت بها جنث لثيران عثر عليها في «سيرايوم» سقارة . وهذا يوضح تقدير أهل هذه الفترة للعجل « أيبس » ، وكانوا يعتقدون أن « الإله بتاح » قد تقمصه .